كليلة ودمنة

تأليف :حمدى عماره
رسوم : وليد معوض
اشراف عام : محمد سعد اسماعيل

1 شارع اسحق – احمد عصمت – جسر السويس
القاهرة – جمهورية مصر العربية
تليفون : 00201005194923 - 002011156266530
0020100049975
بريد الكترونى : nour.elmaaref@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة لدار نور المعارف للنشر و التوزيع
يحظر طبع او تصوير او تخزين اى جزء من الكتاب بأية وسيلة
من وسائل تخزين المعلومات إلا بأذن كتابى صريح من الناشر

تاريخ النشر : فبراير 2016
الترقيم الدولى : 978-977-6438-38-5
رقم الايداع : 20156 / 2015

بيدبا

كليلة و دمنة

تأليف بيدبا ؛ ترجمة عبد الله بن المقفع

تحقيق حمدى عمارة ؛ رسوم وليد معوض .

القاهرة : نور المعارف للنشر و التوزيع , 2015

96ص ؛ 27 سم

تدمك 9789776438385

بيدبا الفيلسوف

المثل والحكمة فى :

كليلة ودمنة

حمدى عمارة

مقدمة

كتاب كليلة ودمنة، هو الكتاب الأشهر على مدى التاريخ. ولعلنا نتذكر معا أصحاب الفضل فى وضع ذلك الكتاب، ليكون أثرا خالدا على مدى الدهر تستقى منه الأجيال فى كل زمان ومكان:

«دبشليم» ملك الهند: فقد مضى على ما رسم له « بيدبا « من حُسن السيرة، والعدل فى الرعية ؛ ففرح به العباد، واستقرت الأمور فى البلاد ؛ وراح ينظرُ فى الكتب التى وضعها فلاسفة الهند للملوك من الآباء والأجداد، فأحبّ أنْ يكون له كتابٌ يُنسبُ إليه. فليس أن يقع اختياره على فيلسوف البلاد.

«بيدبا» فيلسوف الهند: الذى وضع الكتاب، وصاغه على ألسن البهائم والسباع والطير، ليكون ظاهره لهوا للعامة وباطنه سياسة للخاصة ؛ متضمنا ما يحتاج إليه الإنسان من أمر دينه ودنياه وآخرته، ثم جعله ظاهرا وباطنا كسائر كتب الحكمة ؛ فصارت صور الحيوان فيه لهوا وهزلا، وما نطقت به حكمة وفلسفة وأدبا.

«تلميذ بيدبا» النابه النجيب ؛ الذى اختاره « بيدبا « من بين تلاميذه ؛ ليشاوره ويُملى عليه الحكايات والأمثال، وعكفا معا حوْلا كاملا حتى أنجزا الكتاب.

وهؤلاء أصحاب الفضل لخروج كتاب كليلة ودمنة، وانتشاره فى سائر الدنيا:

«أنوشران» ملك الفرس: كان مُولعا بالبحث عن الكتب، شغوفا بالعلم والأدب، حريصا فى طلب العلوم، وإن بذل فى ذلك كل ما فى خزائنه. فلمّا بلغه عن كتاب بالهند، وعلم أنه أصل كل أدب، ورأس كل علم، فلم يقرّ له قرار ؛ وأمر وزيره أن يبحث له عن رجل أديب عاقل من أهل مملكته: بصير بلسان الفارسية، ماهر فى كلام الهند، ويكون حريصا على طلب العلم، والبحث عن كتب الفلسفة.

«برزويه»: طبيب، يُجيد الفارسية والهندية: اختاره الملك «أنوشران» لمهمة استخراج كتاب كليلة ودمنة من بلاد الهند إلى بلاد فارس. وذلك لما بلغه عن علمه وأدبه ورجاحة عقله، وحرصه على طلب العلم حيث كان.

«خازن» ملك الهند: وثق بـ «برزويه»، ورأى فيه حسن الأدب والمعشر، وأمانة فى الحفاظ على الأسرار، وعندئذ أمدّه بكتاب كليلة ودمنة، وغيره من الكتب؛ فعكف «برزويْه» على تفسيره، ونقله من اللسان الهندى إلى اللسان الفارسى.

وأخيرا:

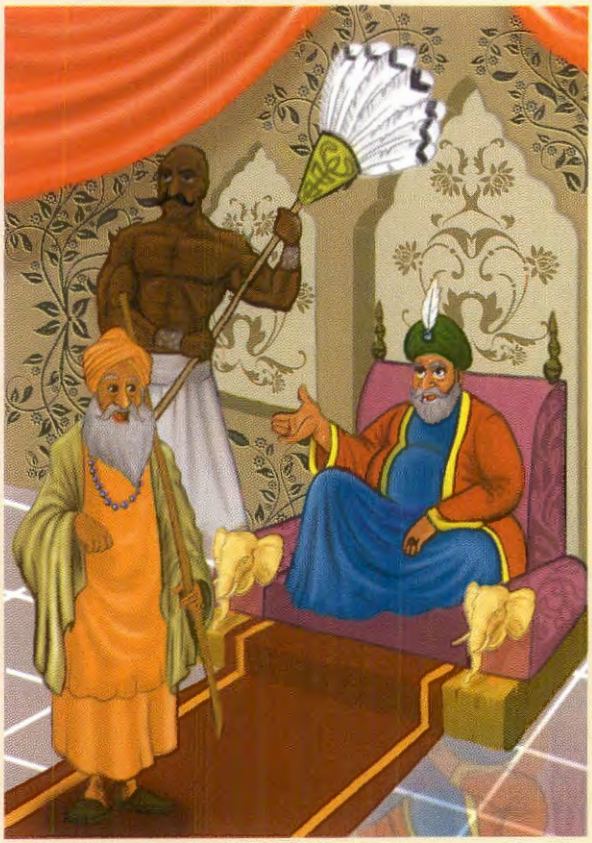
«عبد الله بن المقفع»: فارسى، درس العربية من كتب الأدباء. وكان فاضلا ونبيلا وكريما. وهو صاحب الفضل فى نقل وترجمة كتاب كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية.

حقيقة؛ إن العالم كله مدين لأولئك الذين ساهموا كل بدوره فى انتشار كتاب كليلة ودمنة، وتداوله فى سائر أنحاء المعمورة بشتى لغات البشر.

أمّا عن النسخة بين أيديكم أعزائى القرّاء، فقد أعددتها للناشئة والكبار، والله وحده يعلم كم بذلت من جهد، وكم كنت حذرا ودقيقا فى اختيار ما يتواءم مع الفئة العمرية المستهدفة. وبعون الله وتوفيقه، لم أدخر جهدا فى استخراج الأمثال والحكم، بأسلوب سلس مشوّق، وكلمات منتقاه؛ دون تقعير أو إغراب أو إسفاف أو ابتذال، وذلك لتحقيق الفائدة المنشودة؛ فى إمكانية تناولها واستيعاب ما تضمنته من عبر وعظات: يعوزها البشر فى مسيرة حياتهم، ومدّخرا لآخرتهم. وكان لا بد من الحفاظ على أسلوب العظيم «بيدبا»، واتخاذ منهجه فى العرض والتناول. قاصدا ببذلى المتواضع وجه الله، وعساى قد وضعت «طوبة» فى صرح الثقافة العملاق.

حمدى عمارة

باب مقدمة الكتاب: القُبّرة والفيل



فى سالفِ الزمان، كان على بلاد الهند ملكا ظالما يُدعى دَبْشليم، وكان فى زمانه فيلسوفا يُدعى بيْدبا، فلمّا رأى الملك وما عليه من الظلم وقهر الرعية، جمع تلاميذَه وقال لهم: لا يخفَى عليكم أمرَ دَبْشليم، وما هو عليه من البغْى، والخروج عن الحق والعدل، وليس غيرنا من يردّه إلى فعل الخير ولزوم العدل، ولا يُمكنُنا مُجاهدته بغير ألسنتنا، **والعاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يُبلغ بالخيل والجُند!**. والمثلُ فى ذلك: أنّ قُبَّرة اتخذت مكانا باضت فيه، وكان هذا المكان على طريق الفيل، إذ كان يتردد على غدير ليشربَ منه. فمرّ ذات يوم كعادته، فداس عُشَّ القبرة وهشّم بيضها وقتل فراخها. فلمّا نظرت ما ساءها علمت أنه الفيل، فطارت وحطت على رأسه باكية، وقالت: أيها الملك: لم هشّمتَ بيضى وقتلتَ فراخى وأنا جارتك

؟. أفعلت هذا استهانة بأمرى، وتحقيرا لشأنى ؟. قال الفيل: أجل.. هو ذاك.

فتركتْه القبرة وراحت تشكو إلى طيور العقعق والغربان، وسألتهن أن يفقأنَ عينيه، فأجبْنها وذهبْنَ إلى الفيل، وما زلنَ ينقُرْن عينيه حتى ذهبْن بهما، وبقىَ لا يهتدى طريق مَطعمِه ومَشربِه، إلا ما يبلُغُهُ من موْضعه!. ثم جاءت القبرة إلى غدير به ضفادعَ كثيرة؛ فشكت إليها ما نالها من الفيل.



قالت الضفادع: وما حيلتنا نحن فى ضخامة الفيل ؟. قالت: أحبُّ أن تصاحبونى إلى وَهْدة: أىْ أرض واطئة، فتُنقَّقنَ وتصْخبْن، فإنه إذا سمع أصواتكن، لم يشكّ فى الماء فيهوى فيها، فأجبْنها الضفادع، واجتمعنَ فى الهاوية، فسمع الفيل نقيقها وقد أجْهده العطش، فأقبل حتى وقع فى الوهْدة، ولم يُمكنْه الخروج، وجاءت القبرة ترفرفُ فوق رأسه؛ وقالت: أيها الطاغى المغترّ بقوّته: **كيف رأيتَ عِظم حيلتى مع صِغر حجمى، عند عِظم حجمك وضعف همّتك؟!**.

عزمُ "بيدبا"

تشاور التلاميذُ فيما بينهم، ثم قال أحدُهم: أيها الفيلسوف الفاضل: إننا نعلم أنّ السباحة فى الماء مع التمساح تغريرٌ وتهلكة، والذنب على من دخل عليه فى موضعه، والذى يستخرج السُّم من ناب الحيّة؛ فيبتلعه ليجرّبه جانٍ على نفسه، فليس الذنبُ للحيّة. ومن دخل على الأسد فى عرينه، لم يأمنْ من هجْمته. وهذا الملك لم تُفزعْه النوائب، ولم تؤدّبه التجارب، ولسْنا نأمنُ عليك ولا على أنفسنا سطوته، وإنّا نخاف عليك من غضْبته، وأن تبادره بسوء إن عاملك بغير ما تحب.

فقال الحكيم بيدبا: لقد سمعتُ مقالتكم؛ وتبيّن لى نصيحتكم والإشفاق علىّ وعليكم، **غير أنى قد عزمتُ على لقاء دَبْشليم**؛ وستعرفون ما دار بيننا، فإذا بلغكم خروجى من عنده فاجتمعوا إلىّ.. وصرفهم وهم يدْعون له بالسلامة.

لقاء "دبشليم"

قصد بيْدبا باب الملك، فأُذن له بالدخول، ووقف بين يديه وسكت.. قال دبشليم: إنْ كان للملوك فضلٌ فى مملكتها، فإنّ للحكماء فضلٌ أعظم فى حكمتها: لأنّ الحكماء فى غنًى عن الملوك بالعلم، وليس الملوك فى غنًى عن الحكماء بالمال. ومن لم يستحْى من الحكماء ويُكرمهم، ويعرف فضلهم؛ كان ممّن حُرم عقله، وخسِر دنياه، وعُدّ من الجُهّال. ثم رفع رأسه إلى بيدبا ؛ وقال له: رأيتك يا بيدبا ساكتا لا تعرض حاجتك، ولا تذكر مسألتك؛ فقلتُ: إنّ الذى أسكته هيْبة ساورتْه، أو حيرة أدركتْه، وقلتُ: إنّ بيدبا لم يأتنا إلا لأمرٍ جللٍ؛ فإنه من أفضل أهل زمانه، فهلا نسأله عن سبب دخوله: فإنْ يكنْ من ظلم ناله، أخذتُ بيده، وأسرعتُ فى تشريفه، وأبلغتُه مُراده. وإنْ كان غرضا من أغراض الدنيا؛ أمرتُ بإرضائه من ذلك فيما أحبَّ. وإنْ يكنْ من أمر المُلك، ومما لا ينبغى له، نظرتُ فى عقوبته، وإنْ كان شيئا من أمور الرعية، نظرتُ ماهو؛ فإنّ الحكماء لا يُشيرون إلا بالخير، وإنى قد أذنتُ لك بالكلام.



لمّا سمع بيدبا مقالة الملك؛ زال خوفُه، وذهبت رهبتُه، ثم قال: أستهلُّ مقالى بالدعاء للملك بمديد العمر، ودوام المُلك. والأمر الذى دعانى للدخول

عليه: نصيحة اختصَصْته بها دون غيره، وسيعلم أنى لم أقصِّرْ فيما يجبُ للملك على الحكماء، فإنْ وعَى كلامى، فهو جديرٌ بذلك، وإنْ هو لم يبال؛ فقد بلغتُ ما يلزمنى، وسلمتُ من لوم يلحقنى. قال الملك: يا بيدبا : تكلم كيف شئت فإنى مصغٍ إليك، ومقبلٌ عليك، وسامعٌ منك، وأجازيك على ذلك بما أنت أهله.

فضلُ السُّكوت

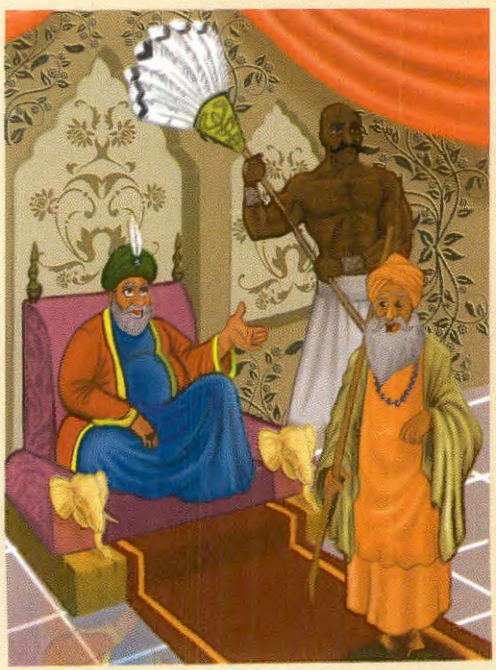
قال بيدبا: إنى وجدتُ الأمورَ التى اختصّ بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء وهى: الحكمة والعقل والعفة والعدل. فمتى كانت هذه الخصال فى واحد؛ لم يأسفْ إذا لم يُوَفق فى عمله، ولم يُحزنْه ما تجرى به المقادير فى مُلكه، ولم يدهشْ عند مكروهٍ أصابه. فالحكمةُ كنزٌ لا يفنى على إنفاق، وذخيرةٌ لا يطولها الفقر والإملاق. وإنْ كنتُ سكتُّ عن الكلام فى مقامى بين يدى الملك، فلم يكنْ ذلك إلا لهيْبته. فإنّ الملوكَ لأهلٌ للمهابة. وقال العلماء: **الزم السكوت فإنّ فيه سلامة، وتجنب الكلام الفارغ فإنّ عاقبته الندامة**. والمثلُ فى ذلك: أنّه اجتمع فى قديم الزمان ملوكُ: الصين والهند وفارس والروم، وقالوا ينبغى أن يتكلم كل منّا بكلمة تُدوّن عنه مدى الدهر، فقال ملكُ الصين: أنا على ما لم أقُلْ أقدَر على ردّ ما قلت: أى: يسهل السكوت، ويستحيل ردّ الكلام بعد نطقه. وقال ملكُ الهند: عجبتُ لمن يتكلم بالكلمة فإن كانت له لم تنفعه، وإنْ كانت عليه أهلكتْه: أى أنّ السكوتَ أفضل دوما. وقال ملكُ فارس: أنا إذا تكلمت بكلمة ملكتْنى، وإذا لم



أتكلمْ بها ملكتُها. وقال ملكُ الروم: **ما ندمتُ على ما لم أتكلم به قط، وندمتُ كثيرا على ما تكلمتُ به.**

العدل أساس الملك

قال بيدبا: أيها الملك: إنك فى منزلة آبائك وأجدادك العمالقة، الذين أسسوا المُلكَ قبلك، وشيّدوه دونك، وبنوا القلاع والحصون، وقادوا الجيوش، وجمعوا العُدّة، وطالت لهم المدة، وعاشوا الدهور، فى الغبطة والسرور، فلم يصرفْهم ذلك عن الإحسان لرعيّتهم، والرفق بشعبهم؛ مع ما كانوا فيه من المقدرة. وإنك أيها الملك؛ قد ورثتَ أرضهم وديارهم ومنزلتهم، فأقمتَ فيما أتاك من المُلك، ولم تقم بحقّ ما يجب عليك؛ بل طغيتَ وبغيت، وعظُم منك الشرّ والبليّة، وكان الأوْلى بك أنْ تسلك سبيل أسلافك، وتتبع آثارَ الملوكِ قبلك؛ فترْفق برعيتك، **وتُقيم العدل فإنه أساسُ المُلك**، وتوفر لهم النفع والخير؛ فيبقى ذكرك، وتطيبُ سيرتك. فإنّ الجاهلَ المغترّ من ظلم وتجبّر، والكيّس: أى الذكى الفطن: من ساس المُلك باللين والرّفق. فانظر أيها الملك ما ألقيتُ إليك، ولا يثقلنّ ذلك عليك: فلم أتكلم بهذا ابتغاء أمر تجازينى به، ولا التماس معروف تكافئنى فيه؛ ولكنى أتيتُك ناصحا ومشفقا عليك.



تراجُع "دبشليم"

لمّا فرغ بيدبا من مقالته، وأدّى نصيحته؛ أوْغر صدرَ الملك واشتدّ غيظه، فأغلظ له الجواب تحقيرا لشخصه واستهانة بأمره، فقال: لقد تكلمتَ بكلام ما كنتُ أظنّ أنّ أحدا من أهل مملكتى يستقبلنى بمثله، ولا يُقدم على ما أقدمتَ عليه. فكيف ذلك مع صِغر شأنك، وتسلطك بلسانك فيما جاوزتَ فيه حدّك ؟!، وما أجدُ شيئا فى تأديب غيرك أبلغ من التنكيل بك. فيكون ذلك؛ عبرة وموعظة لأمثالك.

ثم أمر به أن يُقتلَ ويُصلب، فلمّا مضوْا به أحْجم الملكُ عن ذلك، وأمر بحبسه وتقييده. ثم أرسل الملكُ فى طلب تلاميذه، ومن كان يجتمعُ إليه؛ ولكنهم لاذوا بالفرار، واعتصموا بجزائر البحار؛ فمكث بيدبا فى محْبسه أياما لا يسأل الملكُ عنه، ولا يلتفت إليه؛ حتى فى إحدى الليالى سهد الملك سُهدا شديدا ..ولمّا استغرق على حالته وقتا طويلا؛ تذكر بيدبا وتفكر فيما كلمه به، فقال فى نفسه: لقد أسأتُ فيما صنعتُ بهذا الفيلسوف، وضيّعتُ واجب حقه، ودفعنى إلى ذلك سرعة الغضب، وقد قال العلماء: أربعة لا ينبغى أن تكون فى الملوك: الغضب، والبُخل، والكذب، والعنف فى المحاورة، وقد أتى إلىّ رجلٌ نصح لى؛ فعاملتُه على عكس ما يستحق، وكافأته بخلاف ما يستوجب، وما كان هذا جزاؤه؛ **بل كان الواجبُ أن أسمع كلامه**، وأتّبع ما يُشيرُ به. ثم أرسل من يأتيه به، فلمّا وقف بين يديه؛ قال له: يا بيدبا: أعدْ علىّ كلامك كله، ولا تدعْ منه حرفا إلا جئتَ به.

فجعل بيدبا ينثُرُ كلامه الملكُ مُصغ إليه، ثم رفع طرْفه إليه، وقال له: يا بيدبا ، إنى قد استعذبتُ كلامك وحَسُن موقعه فى قلبى. وأنا ناظرٌ فى الذى أشرتَ، وعاملٌ بما أمرت. ثم جعله وزيرا له، وألبسه تاجا، وجلس بيدبا بمجلس العدل والإنصاف؛ ليردّ المظالم، وينشرَ العدل فى ربوع البلاد.

كتاب «كليلة ودمنة»

مضى دبشليم على ما رسم له بيدبا من حُسن السيرة، والعدل فى الرعية؛ ففرح به العباد، واستقرت الأمور فى البلاد؛ وراح ينظرُ فى الكتب التى وضعها فلاسفة الهند للملوك من الآباء والأجداد، فأحبّ أنْ يكون له كتابٌ يُنسبُ إليه، وعندئذ دعا بيدبا وقال له: يا بيدبا ، إنك حكيم الهند وفيلسوفها، ولم تزلْ موصوفا بحُسن الرأى ومُعينا للملوك فى أمورهم، وإنى أحببتُ أن تضع لى كتابا بليغا: ظاهره سياسة العامة وتأديبها، وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية، وليكن مشتملا على الجدّ والهزل واللهو والحكمة والفلسفة.



قال بيدبا : قد أجبتُ الملك إلى ما أمرنى به، وجعلتُ بينى وبينه أجلا. قال: وكم هو الأجل ؟. قال: سنة.

واختار بيدبا تلميذا نجيبا من تلاميذه، وبعد أن أعدّ الورق، والقوتَ الذى يكفيهما حوْلا، عكفا فى مقصورة. ثم بدأ فى نظْم الكتاب، ولم يزلْ هو يُملى، وتلميذه يكتب لمدة سنة كاملة؛ حتى استقر الكتاب غاية فى الإتقان والإحكام؛ سمّاه: كتابُ كليلة ودمنة ، **وجعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطير، فصار الحيوانُ لهوا وهزلا، وما ينطقه حكمة وأدبا**، ووضع فيه ما

يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه وأهله، وما يعوزه من أمر دينه ودنياه.

فلمّا تمّ الحوْل، أرسل الملك إلى بيدبا من يسأله عن الكتاب، فقال: إنى على ما وعدتُ الملك. وفى يوم من أيام الهند المشهودة، قرأ بيدبا الكتاب فى حشد كبير من أهل المملكة. كم كان إعجاب الملك وسروره، وتمنى على بيدبا أنْ يطلبَ ما شاء، فقال بيدبا : أيها الملك؛ أمّا المال فلا حاجة لى فيه، وأمّا الكساء فلا أختار على ثوْبى هذا شيئا، **وكل حاجتى أن يأمرَ الملك بألا يخرج الكتاب من بيت الحكمة**، فكان له ذلك.



بابُ بعثة بَرْزويه إلى بلاد الهند: أنوشران وبَرْزويه

فى قديم الزمان كان على كسرى بلاد فارس ملكا يُدعى: أنوشران ، وكان مُولعا بالبحث عن الكتب، شغوفا بالعلم والأدب، فلمّا بلغه عن كتاب بالهند، وعلم أنه أصل كل أدب، ورأس كل علم، فلم يقرّ له قرار؛ وأمر وزيره أن يبحث له عن رجل أديب عاقل من أهل مملكته: بصير بلسان الفارسية، ماهر فى كلام الهند، ويكون حريصا على طلب العلم، والبحث عن كتب الفلسفة، فأتاه بطبيب كامل العقل والأدب، يُجيد الفارسية والهندية، يُدعى: بَرْزويه ؛ فقال له الملك: يا برزويه : إنى قد اخترتُك لما بلغنى من فضلك وعلمك وعقلك، وحرصك على طلب العلم حيث كان. وقصّ عليه ما بلغه عن كتاب كليلة ودمنة، وقال له: تجهّز لرحلة إلى أرض الهند، فتلطف بعقلك وحُسن أدبك، لاستخراج ذلك الكتاب من خزائنهم، وما قدرتَ عليه من كتب الهند مما ليس فى خزائننا؛ فاحمله معك، وخذ معك من المال ما تحتاج إليه، ولا تقصّر فى طلب العلوم وإن أكثرت فيه النفقة، فإنّ جميع ما فى خزائنى مبذولٌ لك فى طلب العلوم.

«برزويه» فى الهند



فلمّا قدِم برزويه بلاد الهند؛ طاف بباب الملك، ومجالس الرعية، والتقى بخواصّ الملك، والأشراف والعلماء والفلاسفة، وأخبر بأنه قدم إلى بلادهم لطلب العلوم والأدب، وإنه فى حاجة إلى عونهم، وظل على حاله ذاك زمانا طويلا، وهو فى ذلك يستُرُ بُغيته

ويخبّئ حاجته، ولطول مقامه اتخذ أصدقاء كثيرة من سائر الطبقات. وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلا واحدا، يشاوره فى كل أمره، لمَا ظهر له من فضله وأدبه، وتبيّن له سلامة إخائه، **إلا أنه كان يتكتم الأمر الذى جاء من أجله**، إلى أن يختبرَه، ويرى هل هو أهلُ أن يُطلعه على سرّه.

« برزويه » وخازن الملك

قال برزويه لخازن الملك: يا أخى: ما أريد أن أطيل كتْم أمرى عنك، فاعلم أنى لأمر قدمت، وهو غير الذى يظهر منّى؛ والعاقل يكتفى من الرجل بالعلامات من نظره؛ حتى يعلمَ ما يُضمره فى نفسه. قال له الخازن: أعلم أنك تكتُم أمرا تطلبه، وتُظهر غيره. ما خفى علىّ ذلك، ولكن لرغبتى فى إخائك، كرهتُ مواجهتك به، وأمّا وإنْ أظهرْتَه، وأفصحْتَ به؛ فإنى أخبرُك عن نفسك، وما تُضمرُه فى سريرتك: فإنك جئت إلى بلادنا لتسْلبنا كنوزنا النفيسة، فتذهبَ بها إلى بلادك، وكان قدومك بالمكر والخديعة، ولكنى لمّا رأيتُ صبرك، ومواظبتك على طلب حاجتك، والتحفّظ من أن يسقط منك الكلام بشىء يُستدلّ به على سريرتك؛ ازددتُ رغبة فى إخائك، وثقة بعقلك، فأحببتُ مودّتك، وإنّ عقل الرجل ليَبينَ فى ستّ خصال: الأولى: الرفق، والثانية: أن يعرف الرجل نفسه. والثالثة: معرفة الرجل موضع سرّه، وكيف ينبغى أن يُطلع عليه صديقه. **والرابعة: أن يكون لسرّه وسرّ غيره حافظا**. والخامسة: أن يكون على لسانه قادرا؛ فلا يتكلم إلا بما يأمن عواقبه. والسادسة: إذا كان فى مَحْفل لا يتكلم إلا



بما يُسأل عنه.. وهذه الخصالُ قد اجتمعتْ فيك، **فالله تعالى يحفظك، ويُعينك على ما قدمتَ له**، فمُصادقتك إياى، وإن كانت لتسلبَنى كنزى وفخرى وعلمى، تجعلك أهلا لأن تُعطَى سُؤلك، وما سعيتَ من أجله..

السرّ إذا جاوز اثنيْن

قال برزويْه لخازن الملك: إنّ تحقيقك لمأربى إنْ دلّ فإنما يدلّ على كرمك وحُسن وفائك: فإنّ الكلام إذا ألقىَ إلى الفيلسوف، والسرّ إذا استُودع عند اللبيب الحافظ: فقد تحصّن كما يُحصّن الشىء النفيس فى القلاع الحصينة.



قال خازنُ الملك: ليس شيئا أفضل من المودّة، ومن خلصت مودّته كان أهلا أن يخلطه الرجل بنفسه، ولا يدّخر عنه شيئا، ولا يكتمه سرّا: **فإنّ حفْظ السرّ رأس الأدب**، فإذا تكلم بالسرّ اثنان فلا بد من ثالث من جهة أحدهما؛ فإذا صار إلى الثلاثة فقد شاع وذاع، حتى لا يستطيع صاحبه أن يُنكره: كالغيْم إذا كان متقطعا فى السماء؛ فإذا قال قائل: هذا غيْم متقطع: لا يقدر أحدٌ على تكذيبه. وأنا يغمرنى من مودّتك سرور لا يعدله شىء، وإنّ هذا الأمر الذى تطلبه منّى؛ أعلمُ أنه من الأسرار التى لا تُكتم، فلا بد أن يفشوَ ويظهر، حتى يتحدث به الناس، فإذا فشا فقد سعيتَ فى هلاكى هلاكا لا فداء له: لأنّ مَلكنا فظ غليظ، يعاقبُ على الذنب الصغير أشدّ العقاب، فما بالك بهذا الذنب العظيم ؟، وإذا أسعفْتك بحاجتك؛ لم يردّ عقابه عنى شىء.

حصافةُ برزويْه

قال برزويْه لخازن الملك: إنّ العلماء قد مدحت الصديق إذا كتم سرّ صديقه،

وإنى على يقين أنك لا تخشى منّى ولا تخاف أن أشيعه، بل تخشى الطائفين بك وبالملك أنْ يُوشوا بك، **ولن يُشاع هذا الأمر لأنى راحلٌ وأنت مقيم، وما أقمتَ فلا ثالث بيننا**. كان بيَد الخازن مفاتيح الخزائن، فأمدّه بكتاب كليلة ودمنة، وغيره من الكتب، فعكف برزويْه على تفسيره، ونقله من اللسان الهندى إلى اللسان الفارسى.. لقد واصل الليل بالنهار، ونال منه التعب والنصَب، علاوة على خوفه أن يطلب الملك الكتاب، فلا يجده فى خزائنه. ولحمد الله لم يحدث ذلك.

برزويْه يُنجزُ المَهَمّة

لمّا فرغ برزويْه من انتساخ الكتاب وغيره ممّا أراد من سائر الكتب: كتب إلى الملك أنوشران يُعلمْه بذلك، فلمّا وصل إليه الكتاب سُرّ الملك سرورا شديدا، وأرسل إلى برزويْه بتعجيل القدوم، فسار برزويْه إلى كسرى. فلمّا رأى الملك ما عليه من التعب، أمره بأن ينعمَ بالراحة سبعة أيام. فلمّا كان اليوم الثامن أمر الملك أن يجتمع العلماء والأمراء، وأرسل لـ برزويْه ، فحضر ومعه الكتب، ففتحها وقرأها على مسمع الحضور، وكم فرحوا، وكم أثنوْا على برزويْه ، وأمر الملك أن تُفتحَ له خزائن اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب؛ ليأخذ منها ما شاء، وقال له: يا برزويْه إنى قد أمرتُ أن تجلس على مثل سريرى هذا، وتلبس تاجا، وتترأس على جميع الأشراف. قال برزويْه : أكرم الله تعالى الملك، **فإنى بحمد الله مستغن عن المال بما رزقنى الله على يدك**، ولا حاجة لى به.



باب عرض الكتاب:

وضاع الكَنز!

هذا كتابُ كليلة ودمنة، وكما أسلفنا: وضعه بيدبا فيلسوف الهند على ألسن البهائم والطير، وقد جمع بين الحكمة واللهو؛ فاختاره الحكماءُ لحكمته، والعوامُ للهْوه، وينبغى لمن قرأ هذا الكتاب **أن يعرفَ الوجوه التى وُضعت له**، وإن لم يهتم بذلك لم يدْر ما أريد بتلك المعانى، ومن جمع العلوم وقرأ الكتب من غير رويّة؛ كان جديرا بأن يُصيبه ما أصاب الرجل، الذى اجتاز أحد الأماكن: فظهر له موضع آثار كنز، فجعل يحفِر إلى أن وقع على محتوياته، فقال فى نفسه: إن اعتمدتُ على نفسى فى نقل الكنز طال علىّ، ولكنى سأستأجرُ من يحملونه إلى منزلى وأكونُ أنا آخرهم، ولا يبقى شيئا يشغل فكرى بنقله، وأكونُ قد أرحتُ نفسى بأجر زهيد أعطيهم إياه. ثم جاء بالحمّالين، فجعل يحمّل كل منهم ما يطيق، فينطلق به إلى منزله، حتى لم يبق من الكنز شىء، فانطلق خلفهم إلى منزله؛ فلم يجد المال!، وإذا كل واحد من الحمّالين قد فاز بما حمله لنفسه، ولم يجن من ذلك إلا العناء والتعب، لأنه لم يفكر فى آخر أمره. وكذلك من قرأ الكتاب ولم يفهمْ ما فيه، ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا، لم ينتفعْ بما بدا له من خطه ونقشه.



ثمارُ العلم

ثم العاقل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه؛ ينبغى له أن يعمل بما علم منه لينتفع به، ويجعله مثالا لا يَحيد عنه، فإنْ لم يفعل ذلك، كان مثله كالرجل الذى تسوّر بيته سارقا وهو نائم، فأحسّ به فقال: واللّه لأسكتنّ حتى انظر ماذا يصنع، فإذا بلغ مُراده قمتُ إليه، ونغّصت عليه حياته.

طال تردد السارقُ فى جمْع ما يجده؛ فغلب الرجل النعاسُ فنام، وفرغ اللص ممّا أراد وأمكنه الذهاب. استيقظ الرجل، فوجد اللص قد أخذ المتاع وفاز به. فأقبل على نفسه يلومها، وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص. **فالعلمُ لا يتمّ إلا بالعمل: العلمُ كالشجرة والعملُ به كالثمرة.** وصاحبُ العلم يقوم بالعمل لينتفع به، وإن لم يستعمل ما يعلم لا يُسمّى عالما. ومن ركب هواه ولم يعمل بما جرّبه هو أو علمه من غيره: كان كالمريض العالم بردىء الطعام وجيّده، ثم يحمله الشرَه على أكل رديئه وترك ما يُخلصه من علته. وأقلّ الناس عذرا من ارتكب مذموم الأفعال رغم معرفته ضررها، ومثل ذلك: لو أنّ رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى؛ ساقهما القدر إلى حفرة فوقعا فيها، كانا إذا صارا فى قاعها بمنزلة واحدة، غير أنّ البصير لا عذر له، إذ كانت له عينان يُبصر بهما.



وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدّبها بعلمه، ولا تكون غايته اقتناء العلم لمعاونة غيره، ويكون كالعين التى يشرب الناس ماءها، **وليس لها فى ذلك منفعة، وكدودة القز التى تفرز الحرير ولا تنتفع به.** وليس للعالم أن يَعيبَ امرءا بشىء فيه مثله، **ويكون كالأعمى الذى يُعيّر الأعمى بعماه!**.

رُبّ ضارّة نافعة!

ولا يليقُ بالعاقل أن يؤنّب نفسه على ما فاته وليس فى مقدوره، فربما قدّر الله ما يهنأ به ولم يكنْ فى حُسبانه، ومن أمثال ذلك: أنّ رجلا كان به فاقة وجوع وعُرًى، وقد سأل أقاربه وأصدقاءه فلم يعطوه شيئا، وكان فى منزله ذات ليلة إذ بصُر بسارق، فقال: والله ما فى منزلى شىء أخافُ عليه، فليُتعب نفسه. فبينما السارق يجولُ فى البيت؛ وقع بصره على جرّة مملوءة بالقمح، فما لبث أن خلع رداءه وبسطه على الأرض، وفرّغ عليه القمح، فقال الرجل: أ يذهب بالقمح، وليس عندى سواه ؟، فعلاوة على عُريى أفقد غذائى، وما اجتمع العُرًى والجوع على أحد إلا أهلكاه!. ثم صاح بالسارق، وأخذ هراوة كانت عند رأسه، فلم يكنْ للسارق إلا الهرب، وترك قميصَه ونجا بنفسه، وأصبح الرجلُ كاسيا!.



وينبغى على العالم أن يكون حريصا لأن يجنى كسْبا ونفعا، ولا يتعرّض لما يجلب عليه العناء والشقاء، **فيكون كالحمامة التى تفرخ الفراخ فتؤخذ وتذبح، ثم لا يمنعها ذلك أن تعود فتفرخ، فتؤخذ فراخها ثانية فتذبح!**.

لا تعلو على حساب غيرك

وعلى العاقل أيضا أن يصدّق بالقضاء والقدر، ويُحبّ للناس كما يُحبّ لنفسه، ولا يُصلح نفسه بفساد غيره، فيُصيبه ما أصاب التاجر من رفيقة: إذ تشاركا فى تجارة، فاستأجرا حانوتا، وجعلا بضاعتهما فيه، وكان منزل أحدهما قريبا من الحانوت، ففكر أن يسرق بعضا من بضاعة رفيقه، فقال:

إن سرقتُ ليلا فقد أسرقُ من بضاعتى ولا أعرفها، فألقى رداءه على بضاعة شريكه، ثم انصرف إلى منزله، وجاء رفيقه فوجد رداء صاحبه فوق بضاعته، فظنّ أنه نسيه؛ فألقاه على بضاعته، وأغلق الحانوت، ومضى إلى منزله.

فلمّا جاء الليل أتى الرفيق ومعه رجل حمّال إلى الحانوت.. فتحسّس الرّداء فى الظلام، وحملا البضاعة إلى منزله. ولما صحا فى الصباح اكتشف أنه سرق بضاعته هو، فندم أشد الندم. ثم انطلق إلى الحانوت، فوجد شريكه قد سبقه إليه، وكان قد اغتمّ إذ لم يجد البضاعة، فلا ريب أن يتهمه شريكه، وعليه إذاً دفع ثمن البضاعة. فلمّا وجده الشريك مهموما، قال له: يا أخى، لا تغتمّ: **فإنّ الخيانة شرّ ما عمله الإنسان، والمكر والخديعة لا يجلبان الخير**، وأنا من مكر وخدع واحتال. وحكى لرفيقه؛ الذى قال: مثلك مثل اللص والتاجر:



إذ كان لتاجر جرّتان إحداهما مملوءة قمحا، والأخرى مملوءة ذهبا. فتعقّبه أحد اللصوص إلى المنزل. وقد تشاغل التاجر، فدخل اللص، فلمّا همّ بأخذ جرّة الذهب، تركها وأخذ جرّة القمح. ولم يزل فى كدّ وتعب حتى أتى بها منزله، فلمّا فتحها كاد أن يموت حسرة وندما. فقال الخائن: مثلٌ مُطابق، وقد اعترفتُ بذنبى وخطئى. فقبل الرجل معذرته، وصفح عنه.

حكمةُ الصغير

وينبغى لقارئ الكتاب أن **يتأنّى فى قراءته، ويُدقق ويتأمل ويعى ما تضمّن من الحكم والأمثال**، ويكون مثل أصغر الإخوة الثلاثة، الذين ورثوا عن أبيهم

المال الكثير، فتقاسموه بينهم. فأمّا الكبيران فإنهما أسرعا فى إتلافه وإنفاقه فى غير وجهه؛ وأمّا الصغير فإنه حين رأى ما أصاب أخويه، قال لنفسه: إنما المرءُ يجمع المال الحلال لصلاح معاشه ودنياه، ولشرف منزلته فى أعين الناس، واستغنائه عمّا فى أيديهم، وصرْفه فى وجوه الخير من: صلة الرحم، والإنفاق على الولد، وإعانة المحتاج. وإنّ المال هو مال أبى، وأنّ أوْلى الإنفاق على صلة الرحم وإنْ بعُدت، فكيف بأخوىّ ؟. فأسرع بإحضارهما وقاسمهما ماله.



الصيادُ والصَّدَفة

وعلى قارئ الكتاب أيضا، أن يُمعن النظر ملتمّسا جواهر معانيه، ولا يظن أنه مجرد حيلة بهيمتين، أو محاورة سبع لأسد، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود، ويكون مثل الصياد الذى كان يصيد السمك فى زوْرق؛ فرأى فى أرض الماء صَدفة تتلألأ، فظنها جوهرة، وكانت شبكته قد اصطادت سمكة: قوت يومه؛ فأخلاها، وقذف بنفسه فى الماء ليأخذ الصدفة، فلمّا أخرجها وجدها فارغة. فندم على ترك السمكة لطمعه، وتأسّف على ما فاته. وفى اليوم التالى قصد مكانا آخر، وألقى شبكته فأصاب حوتا صغيرا، ورأى أيضا صدفة متألقة، فساء ظنه بها وتركها.. ومرّ بها أحد الصيادين فأخذها، فوجد فيها دُرّة



تساوى أموالا!. وكذلك الجُهّال إذا أغفلوا أمر التفكر فى معانى الكتاب، وتركوا الوقوف على أسرار معانيه، وأخذوا بظاهره. مثلهم مثل رجل يملك أرضا طيبة وحَبّا صحيحا، فزرعها وسقاها، حتى إذا أثمرت وأينعت، تشاغل عنها بقطع الشوك وجمع ما فيها من الزهر، فخسر ثمارها وخيرها.



باب الأسد والثور

الحذر لايمنع وقوع القدر

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثلا لصديقين متحابين يفرّقُ بينهما الكذوب المحتال؛ حتى يحملهما على العداوة والبغضاء. قال الفيلسوف: كان بأرض دستاوند أبٌ شيخ، وكان له ثلاثة بنين، فلمّا شبّوا أسرفوا فى مال أبيهم، ولم يكن لأحدهم حرفة يكسب منها رزقا. فلامهم أبوهم على سوء فعلهم، وقال يعظهم: يا بَنىّ؛ إنّ صاحب الدنيا يطلب ثلاثة: السّعة فى الرزق، والمنزلة فى الناس، والتزوّد من الدنيا للآخرة. ولا يستطيع أن يُدركها إلا بأربعة: اكتساب المال الحلال، وحُسن إدارته والقيام عليه، ثم استثماره، ثم انفاقه فيما يُصلح المعيشة ويُرضى الأهل والصّحْب، فيعود عليه نفْعه فى الآخرة. اعتبر الإخوة واتعظوا بقول أبيهم، وعلموا أنّ فيه الخير كله، وعملوا به.

انطلق أكبرهم، فأتى فى طريقه على مكان فيه وحْلٌ كثير، وكان معه عربة يجرّها



ثوران: أحدهما يُدعى شتربة ، والآخر بندبة؛ فوقع شتربة فى الوحل، وبذل الرجل ومن معه الجهد؛ فلم يقدروا على إخراجه. فذهب وترك عنده رجلا؛ حتى ينشف الوحْل فيتبعه بالثور. فلمّا كان المكان مُوحشا؛ خاف الرجل، فترك الثور ولحق بصاحبه، وأخبره أنّ الثور مات؛ قائلا: **إنّ المرء إذا حانت منيّته؛ لا يمنع حذره من وقوع القدر.** والمثل

فى ذلك: أنّ رجلا سلك طريقا محفوفا بخطر السباع، فاعترضه ذئب، فلمّا رآه قاصدا نحوه، جعل يتلفت من حوله، فلم يجد إلا النهر، فألقى بنفسه فى الماء، ولم يكن يُحسن السباحة، وكاد أن يغرق؛ لولا أن بصُر به قوم فأنقذوه. وحمد الله أن سلم من الغرق والذئب. وبينما كان يبحث عن مأوى؛ رأى بيتا فى جانب الوادى، فاتخذ سبيله إليه؛ فلمّا دخله وجد جماعة من اللصوص؛ قد قطعوا الطريق على رجل من التجار، وهم يقتسمون ماله، ويريدون قتله. فلمّا رأى ذلك خاف على نفسه، ومضى نحو قرية مجاورة؛ فأسند ظهره إلى حائط ليستريحَ ممّا أصابه من الهول والإعياء، **إذ سقط الحائط عليه فمات!**.

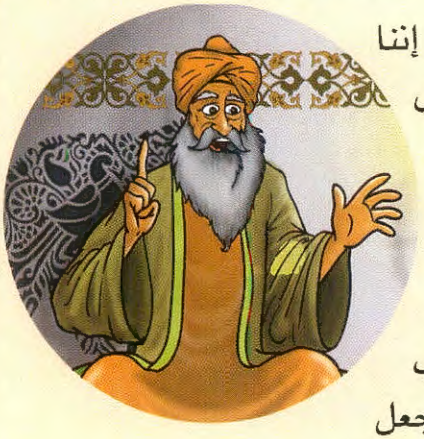
من تدخّلَ فيما لا يعنيه

قال بيدبا الفيلسوف لـ دبشليم الملك: لمّا جفّ الوحْل؛ انطلق شتربة؛ فصادف مرعى فمكث فيها، فلمّا شعر بالأمان وملأ بطنه بالعشب، جعل يرفع خواره، أى: صوته.. وكان قريبا من غابة ملكها أسد عظيم، وله أعوانٌ من السباع والذئاب وبنات آوى وثعالب وفهود ونمور، وكان ذلك الأسد منفردا برأيه ولا يشاور أعوانه، فلمّا سمع خوار الثور، ولم يكن رأى ثورا ولا سمع خوارا؛ إذ كان مقيما لا يبرح مكانه، ويُؤتَى بطعامه على يد جُنده.



كان فيمن معه من السباع: ابنا آوى يقال لأحدهما كليلة ، وللآخر دمنة ،

وكانا ذوىْ دهاء وعلم وأدب. تحاورا بشأن الأسد؛ فقال دمنة : ما بالُ الأسد؛ لا يبرح مكانه،



ولا ينشط ؟!. قال كليلة : بل ما شأننا ؟!.. إننا بمثابة حارسيْن على باب ملكنا.. ومن العقل ألا نتدخّل فيما لا يعنينا، فيُصيبنا ما أصاب القرد من النجار. قال كليلة : وما الذى أصاب القرد ؟. قال دمنة : يُحكى أنّ قردا رأى نجّارا يشقّ خشبة بين وتديْن وهو راكب عليها، فأعجبه ذلك، وكان النجار قد ذهب لبعض شأنه، فقام القرد فركب الخشبة، وجعل ظهره ناحية الوتد، ووجهه ناحية الخشبة، فتدلى ذيله فى الشق، ونزع الوتد؛ فانضمّ الشق عليه فوقع مغشيا عليه من فرط الألم، فلمّا رجع النجار ورأى القرد، اشتد غيظه وانهال عليه ضربا؛ فكان ما ناله القرد من الضرب؛ أشد ممّا ناله من الخشبة.

طموحُ «دمنة»

قال دمنة : ولتعلم أيضا؛ أنّ من الناس: لا طموح له ولا تطلعا، فيرضى بالقليل؛ كالكلب الذى يفرح بعظمة. وأمّا أهل الفضل والنخوة فلا يُقنعهم القليل ولا يرضوْن إلا بما يوائم سُمُوّ نفوسهم وعلوّ قدرهم: كالأسد الذى يفترس الأرنب، فإذا رأى البعير تركها!؛ **فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل على أهله وصحبه؛ فهو إنْ قلّ عمره طويل العمر بسيرته**. ومن كان فى عيْشه ضيقٌ وقلة وإمساك: أى بُخل على نفسه وذويه؛ فالميت أحيا منه. ومن عمل لبطنه وقنع؛ عُدّ من البهائم.

قال كليلة : ولتعلم أنّ لكل امرئ منزلة وقدْرا؛ فلنرض بنصيبنا وما قُسم لنا. قال دمنة : إنّ المنازل متفاوتة على قدر المروءة والنخوة: فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة. فنحن من حقنا أن نتطلع إلى المنزلة الأسمى. ثم كيف نقنع بمكانتنا ونحن نستطيع التحوّل عنها ؟!.



قال كليلة : هبك وصلت إلى الأسد، فماذا تفعل لتنال عنده المنزلة والمكانة ؟.

قال دمنة : لو دنوْتُ منه وعرفتُ أخلاقه، لرفقتُ فى متابعته وقلة الخلاف له، وإنْ أراد أمرا وكان صوابا؛ عرّفتُه بما فيه من النفع والخير، وشجّعته عليه والوصول إليه. وإذا أراد أمرا فيه ضُرّ، بصّرته بضُرّه، وبيّنت له ما فى ترْكه من الخير. وبذلك يسمو قدْرى، وتزداد عند الأسد منزلتى ومكانتى.

قال كليلة : فما زلتُ أخافُ عليك. قال حكيم: إنّ أمورا ثلاثة لا يجترئ عليهن إلا متهورٌ أهوج، ولا يسلم منهن إلا القليل: صُحبة السلطان، وائتمان النساء على الأسرار، واحتساء السّم للتجربة. قال دمنة : إنك محقّ، غير أنه من لم يركب الأهوال، لم ينل الآمال. وقد قيل فى الرجل الفاضل الرشيد: إنه لا يُرى إلا فى مكانين ولا يليق به غيرهما: إمّا مع الملوك مُكرّما، وإما مع الصالحين متعبّدا.. قال كليلة : جعل اللّهُ لك الخير فيما عزمتَ عليه.

«دمنة» فى رحاب الملك

وانطلق دمنة حتى دخل على الأسد فقدّم فروض الولاء والطاعة؛ فسأله الأسد: أين تكون ؟. قال: لم أزلْ ملازما باب الملك؛ راجيا أن يأتىَ أمرٌ فأعينُ الملك فيه بنفسى ورأيى استطرد دمنة لمّا استشعر اهتمام الملك؛ فقال: إنّ الفضل فى أمريْن: فضلُ المقاتل على المقاتل والعالم على العالم. وإنّ كثرة الأعوان إذا لم يكونوا ذوىْ خبرة ربما تكون مَضرّة؛ **فليست العبرة بكثرة الأعوان؛ بل بصالحهم**. وصغير المنزلة ربما عظُم؛ كالعصب يؤخذ من الميْتة، فإذا صُنع منه القوس نال كرما وشرفا؛ فتقبض عليه الملوك فى وقت الحرب والصيد. أعجب الأسد بكلام دمنة ، فكرّمه وقرّبه إليه.

خلا دمنة بالأسد ذات مرة، فقال له: أرى الملك لا يبرح مكانه، فما السبب ؟، وبينما هما فى هذا الحديث؛ إذ خار شتربة خوارا شديدا؛ فتهيّج الأسد، وأيقن دمنة أنّ الخوار أدخلَ على الأسد ريبة وهيبة، فقال: ليس للملك أن يتهيب من أجل صوت، فقد قالت العلماء: **إنه ليس من كل الأصوات تجبُ الهيبة**، ومثل ذلك: أنّ زعموا أنّ ثعلبا أتى أجمة: وهى الشجر الكثيف، فيها طبلٌ معلقٌ على شجرة، فكلما هبّت الريح على أغصان تلك الشجرة حرّكتها فضربت الطبل؛ فسُمع له صوتٌ عظيم، فتوجّه الثعلب نحوه، فلمّا أتاهُ وجده ضخما، فأيقن فى نفسه بكثرة الشحم واللحم فشقّه، فلمّا رآه أجوف لا شىء فيه؛ قال: **لا أدرى لعل أفشل الأشياء أجهرها صوتا وأعظمها جسما!**.



«شتربة» والأسد

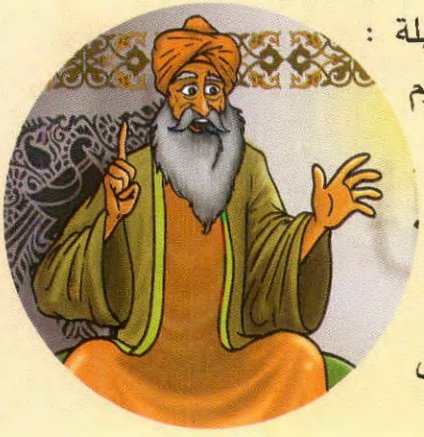
قال دمنة للأسد الملك: لقد ضربتُ لك هذا المثل، لتعلم أنّ هذا الصوت لو بلغناه لوجدناه أهون مما ظننا؛ فإن شاء الملك بعثنى حتى آتيه بالخبر اليقين، فأذن له الأسد، فانطلق دمنة نحو الصوت.. ولم يغبْ طويلا، تعجب الأسد فسأله: ماذا صنعت ؟، وماذا رأيت ؟. قال دمنة : رأيتُ ثورا هو صاحب الخوار. قال: فما قوته ؟. قال: لا شوكة له، فلقد دنوتُ منه ولم يستطع شيئا. قال الأسد: لا يغرّنّك ذلك منه: **فإن الريح الشديدة لا تبالى بضعيف العشب، لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر**. قال دمنة : لا تهابنّ أيها الملك منه شيئا؛ فأنا آتيك به ليكون لك عبدا مطيعا.



وافق الأسد؛ فانطلق دمنة إلى الثور، فقال له غير خائف ولا هيّاب: إنّ الأسد أرسلنى وأمرنى أن آتيه بك طائعا، قال له شتربة : ومن ذاك الأسد ؟. قال دمنة : هو ملك السباع ومعه جندٌ كثيف من جنسه، ففزع شتربة ، وقال: إن أمّنتنى على نفسى صحبتك إليه. فأمّنه دمنة ، وأقبل والثور معه، ودخلا على الأسد، فأحسن الأسد إلى الثور وقرّبه إليه، وقصّ شتربة عليه قصته. فقال له الأسد: اصحبنى والزمنى، فإنى مُكرمك، فدعا له الثور.

حيرة «دمنة»

قرّب الأسدُ إليه شتربة ، وأتمنه على أسراره، وشاوره فى كلّ أمره، حتى صار أرفع أصحابه منزلة. فلمّا رأى دمنة ذلك حسده حسدا عظيما، وراح يشكو لأخيه كليلة : ألا تعجَب يا أخى من صُنعى بنفسى، ونظرى فيما ينفع الأسد، وأعفلت نفع نفسى؛ حتى جلبتُ للأسد ثورا؛ غلبنى على منزلتى.. قال كليلة : أخبرْنى عن رأيك وما عزمت عليه. قال دمنة : لستُ أجدُ إلا الاحتيال لآكل العشب حتى أفرّق بينه وبين الأسد، فأستردُّ منزلتى. قال كليلة : وكيف تتصر على الثور وهو أشدّ منك وأكرم على الأسد ؟. قال دمنة : لا تنظر إلى صِغرى وضعفى؛ فليست الأمور بالضعف ولا القوة، ولا الصغر والكبر فى الجسم، **فرُبّ صغير قد بلغ بحيلته ودهائه ما يعجز عنه الأقوياء**. أ لم يَبلغك أنّ غرابا ضعيفا احتال لأسُود حتى قتله ؟. قال كليلة : وكيف كان ذلك ؟.



العلجومُ والسرطان

قال دمنة : كان غرابا له وكر فى شجرة على جبل، وكان قريبا منه جُحر ثعبان أسود؛ فكان الغراب إذا فرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها. فحزن الغراب، وشاور صديقه ابن آوى فيما عزم عليه؛ إذ قال: سأذهب إلى الأسْود إذا نام، فأنقر عينيه؛ فأفقأهما، لعلى أستريح منه. قال ابن آوى: هكذا تخاطر بنفسك، مثل طائر العلجوم الذى أراد قتل السرطان؛ فقتل نفسه. قال الغراب: وكيف كان ذلك ؟. قال ابن آوى: عشش علجوم فى شجرة على شاطئ غدير كثير السمك، فعاش بها زمنا طويلا، فلمّا أصبح عجوزا، لم يستطع صيدا؛ فأصابه جوع وضعف شديدين، فجلس حزينا يندب حظه. مرّ به سرطان؛ فرأى حاله من الحزن والكآبة ؟؛ فسأله عن السبب؛ فقال العلجوم: وكيف لا أحزن وقد كنتُ أعيش على ما حولى من السمك ؟. وقد مرّ صيادّين بهذا المكان، فقال أحدهما: إنى أرى هنا سمكا كثيرا؛ أ فلا نصيدُه ؟، وقال الآخر: إنى قد رأيت سمكا أكثر فى مكان كذا فلنبدأ به، فإذا فرغنا منه جئنا إلى هذا فنصيده عن آخره: أى أنهما سيأتيان إلى غديرنا ويصطادا ما فيه، وفى ذلك هلاكى.



فانطلق السرطان إلى جماعة السمك فأخبرهن، فأقبلن إلى العلجوم يستشرنه، فقال العلجوم: لا حيلة لى قبل الصيادين، ولكنى أعرف غديرا قريبا من هنا، فتنتقلن إليه، فقلن له: لا يساعدنا غيرك، فكان العلجوم يحمل فى كل يوم سمكتين حتى ينتهى بهما إلى أحد التلال فيأكلهما. وجاء دور السرطان، فحمله وطار، حتى إذا دنا من التل، نظر السرطان فرأى عظام السمك، فعلم أنّ العلجوم هو صاحبها، فما لبث أن أهوى بكلبتيه على عنق العلجوم، فعصره، فمات. ثم أخبر السرطان جماعة السمك. قال ابن آوى: ضربت لك هذا المثل **لتعلم أنّ بعض الحيلة مُهلكة لصاحبها**، ولكنى أدُلك على أمر؛ إنْ قدرتَ عليه كان فيه هلاك الأسود وسلامتك. قال الغراب: وما ذاك؟.

فكرةُ ابن آوى

قال ابن آوى للغراب: تنطلق باحثا، لعلك تظفر بشىء من حُلىّ النساء فتخطفه، ولا تزال طائرا بحيث تراك العيون، حتى تأتى جُحر الأسود فترمى بالحُلىّ عنده، فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حُليّهم وأراحوك من الثعبان. فانطلق الغرابُ محلقا، فوجد فتاة من بنات الأثرياء فوق سطح تغتسل، وقد وضعت حُليّها جانبا، فانقضّ واختطف عقدا وطار به، فتبعه القوم، ولم يزل طائرا، بحيث تراه العيون، حتى انتهى إلى جُحر الأسود فألقى العقد عليه، فلمّا أتى الناس أخذوا العقد وقتلوا الأسود.

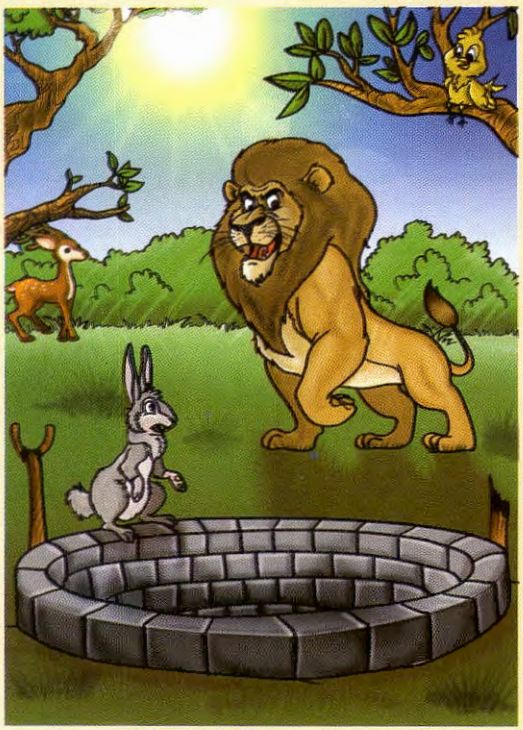


قال دمنة : ضربتُ لك هذا المثل، **لتعلم أنّ الحيلة**

تفعل ما لا تفعله القوة. قال كليلة : لكنّ الثور مع شدته وقوته: سديد الرأى وذكى العقل. قال دمنة : ولكنه يعترفُ لى بالفضل، وأنا قادر أنْ أصرعه كما صرعتْ الأرنبُ الأسد.. قال كليلة : وكيف كان ذلك ؟.

حيلةُ الأرنب

قال دمنة : كان أسدا فى أرض كثيرة المياه والعشب، وكان يعيش فى تلك الأرض وحوش، إلا أنه لم تنفعها المرعى لخوفها من الأسد، فاجتمعتْ وأتت إلى الأسد، فقالت له: إنك لتصيدُ منّا الدابّة بعد الجهد والتعب، ولنا رأىٌ فى ذلك، فإن أمّنتنا ولم تُخفنا، فلك علينا دابّة فى كل يوم نرسلها إليك فى وقت غدائك، فرضى الأسد.



وفى أول يوم أصابت القرعة أرنبا، وصارت غداء الأسد، فقالت للوحوش: يُمكننى أن أريحكم من الأسد: **لو أمرتنّ الذى ينطلق بى إليه أن يتركنى حتى أبطئ عليه**؛ فوافقن. فانطلقت الأرنب وتباطأت حتى جاوزت الوقت، ثم تقدمت إليه وحدها، وكان الأسد قد جاع، واشتد غضبه، واتجه نحوها، فقال لها: من أين أقبلت ؟؛ قالت: أنا رسول الوحوش إليك: بعثتنى ومعى أرنب

لك، فقابلنى أسد وأخذها منّى، وقال: أنا أوْلى بهذه الأرض وكلّ ما فيها. فقلتُ: إنه غداء الملك، فلا تغضبنّه؛ فسبّك وشتمك. فأقبلتُ لأخبرك. فقال: انطلقى معى فأرينى هذا الأسد، فانطلقت الأرنبُ إلى بئر فيه ماء صاف، وقالت: ها هنا، فاطلع الأسد فرأى ظله وظل الأرنب فى الماء، وسرعان ما وثب إليه ليقاتله، فغرق فى البئر. فرجعت الأرنب إلى الوحوش وحكت صنيعها بالأسد، فأثنيْن عليها واحتفين بها.

خطة «دمنة»

قال كليلة لأخيه دمنة : إن قدرتَ على هلاك الثور دون مضرّة للأسد فافعل، وإن كان فيه هلاكه فلا تُقدم عليه؛ فإنه غدرٌ منّى ومنك. ورسم دمنة خطته، فلم يدخل على الأسد أياما كثيرة، ثم أتاه فسأله الملك: ما الذى حبسك عنى طول تلك المدة ؟. هل حدث أمر ؟. سكت دمنة ، ثم قال: ما أفظع ما حدث!، قد لا تصدق من فظاعته وشدة هوله. ولزاما علىّ أن أكون وفيّا للملك، وأن أقدّم له النصيحة، **ومن كتم على الملك رأيه فقد خان نفسه**. قال الأسد: وما ذاك ؟.



قال دمنة : لقد خلا شتربة برءوس جندك، وقال لهم: حينما اقتربتُ من الأسد تبين لى أنه ضعيف وعاجز، ولى معه شأن. فلمّا بلغنى ذلك علمتُ أنّ شتربة خوّان غدار، رغم أنك أكرمته، وأصبح الأقرب إليك، حتى ظن أنه مثلك، وإنك متى زلت عن مكانك صار له مُلكك. يقال: إذا عرف الملك من الرجل أنه قد ساواه فى المنزلة؛ فليضّرعه، وإلا

كان هو المصروع. و شتربة داهية وأعلم بالأمور. **والعاقلُ من يدفع الكارثة قبل وقوعها، ويعجّل قبل فوات الأوان.**

نجاحُ دمنة

قال الأسدُ لـ دمنة : وكيف يفعل شتربة ذلك ولم ير منّى سوءا قط ؟!، قال دمنة : إن اللئيم لا يزال نافعا ناصحا، وما أن علت منزلته التى لا يستحقها، ليطلب ما فوقها؛ ولا سيما أهل الخيانة والفجور. قال الأسد: إن شتربة لا يستطيع لى ضرّا، فكيف يقدر على ذلك وهو آكل عشب وأنا آكل لحم ؟: فهو لى طعام، ولا مخافة منه. قال دمنة : إنّ صاحب الشر لم يَسلمْ من شرّه أحد، وإن ضعُف عن ذلك؛ جاء الشر بسببه، وإن كنت لا تخشى شتربة ، فلتخف من الجند الذى حملهم على عداوتك.

نجح دمنة فى بثّ العداوة فى صدر الأسد، الذى قال: فما الذى ترى؟. قال دمنة : إنّ الضرس لا يزال متآكلا، ولا يزال صاحبه فى ألم وأذى حتى يتخلص منه، والعدو المخوّف دواؤه القتل. قال الأسد: لكم كرهتُ شتربة ، وإنى مرسلٌ إليه. كره دمنة ذلك، فقد يكتشف تدبيره وكذبه، فقال: إذا كان هذا رأى الملك فلا يدخل عليك شتربة إلا وأنت مستعد له، وإياك أن تغفل عنه، وسيعرف الملك أنّ شتربة سيكون متحفزا، ومن علامات ذلك: **ترى لونه متغيرا، وترتعد أوصاله وأطرافه، ويتلفت يمينا وشمالا، ويهز قرنيْه فعل الذى همَّ بالنطاح والقتال.** قال ألأسد:



سأكون منه على حذر. قال دمنة : دعنى أحاورُهُ وأتلطف معه، فأعرفُ سرّه، وأطلعُ به الملك.

حيرةُ شتربة

انطلق دمنة ، ودخل على شتربة متظاهرا بالحزن والكآبة. فلمّا رآه الثور رحّب به وقال: ما كان سبب انقطاعك عنى ؟، فإنى لم أرك منذ أيام.. لعلك فى سلامة. قال دمنة : ومن يكون فى سلامة، وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ؟، ومن ذا الذى صحب السلطان فدام له الأمن والإحسان ؟. قال شتربة : لا بد أنّ لك مع الأسد أمرا. قال دمنة : تعلم ما بينى وبينك، وحقك علىّ، فلا بد من إطلاعك على ما أخاف عليك منه. قال شتربة : وما ذاك ؟. قال دمنة : علمتُ أنّ الأسد قال لبعض جلسائه: لقد سمن الثور، ولا حاجة لى به، فأنا آكله وأطعم أصحابى من لحمه. فلمّا علمتُ ذلك، وعرفتُ غدره ونقض عهده، أقبلتُ إليك لأقضى حقك، وترى ما تفعل. قال شتربة : ما كان للأسد أن يغدر بى ولم أقترفْ ذنبا منذ صحبته، ولا بد أنّ هناك من يحاول أن يفرّق بيننا، **فإنّ صُحبة الأشرار ربما أورثت سوء الظن بالأخيار**: مثل البطة التى قيل إنها رأت ضوء كوكب؛ فظنته سمكة، فحاولت أن تصيدها، فلمّا حاولت مرارا؛ علمت أنه ليس بشىء فتركته. ثم رأت سمكة فى اليوم التالى، فظنت أنها مثل الذى رأته بالأمس، فتركتها أيضا.



قال دمنة : إنّ موقفَ الأسد منك ليس من فعل الأشرار فحسب، ولكنه الغدر والخيانة، فلتأخذ حذرك، وتحتاط لنفسك.

عصابةُ الشر

قال شتربة : كيف ذلك بعد ما عرّفتنى من رأى الأسد وسوء أخلاقه ؟، فلو أنه أراد بى خيرا، ثم أراد أصحابه هلاكى لقدروا على ذلك، والمثل فى ذلك: أنّ أسدا كان فى غابة قريبة لطريق من طرق الناس، وكان له أصحاب ثلاثة: ذئب وغراب وابن آوى. وقد مرّ رُعاة بذلك الطريق، ومعهم جمال، فتخلف منها جمل، ودخل الغابة حتى انتهى إلى الأسد، فقال له الأسد : ما حاجتك، فقال الجمل: ما يأمرنى به الملك. قال: تُقيم عندنا فى السعة والأمن والخصب. فأقام الأسد والجمل زمنا طويلا.



ثم إنّ الأسد مرض، فلم يقو على الصيد، ولبث الذئب والغراب وابن آوى أياما لا يجدون طعاما، إذ كانوا يأكلون من فضلات الأسد، فأصابهم جوع شديد وهزال. وقال الأسد : ليس أمامكم إلا أن تنتشروا لعلكم تصيبون صيدا تأتوننى به فنأكل منه جميعا. فخرج الثالوث، وتشاوروا فيما بينهم، **وخلصوا إلى أن يقنعوا الأسد أن يأكل الجمل ويُطعمون من لحمه**، وتصدّى الغراب لهذه المهمة. وراح يعرض الأمر على الأسد.

ثمنُ الوفاء!

قال الأسدُ للغراب: أما علمتَ أنى قد أمّنت الجمل ؟. قال الغراب: فى وقت المحنة كلنا فداء للملك، كما أننا سنقوم بحيلة، بعيدا عن الأسد. عندئذ سكت الأسد. وكان السكوت بمثابة إقرار. وانطلق الغرابُ لصاحبيه، ودبروا حيلة. وتقدموا ومعهم الجمل إلى الأسد؛ فقال الغراب: قد احتجتَ أيها الملك إلى ما يقوّيك؛ ونحن أحق أن نهبَ أنفسنا لك؛ فليأكلنى الملك. وحسب الخطة؛ أجابه الذئب وابن آوى أن اسكت؛ فلا خير للملك فى أكلك، وليس فيك شبع. قال ابن آوى: لكن أنا أشبعُ الملك؛ فليأكلنى. فردّ عليه الذئب والغراب: إنّ لحمك غير طيب. قال الذئب: إنى لستُ كذلك، فليأكلنى الملك؛ فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا: قال الأطباء: من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب. ظن الجملُ أنه إذا عرض نفسه طعاما للأسد، التمسوا له عذرا كما فعلوا، فيَسلم ويُرضى الأسد عنه وينجو من الهلاك. فقال: لكنى أشبع الملك، ولحمى طيب، وبطنى نظيف، فليأكلنى الملك، ويُطعم أصحابه وخدمه، فقد رضيتُ بذلك، وطبتُ نفسا. فقال الثالوث: لقد صدق الجمل. ثم وثبوا



عليه فمزقوه.. ولقد ضربت لك هذا المثل؛ لتعلمَ أنه إنْ كان أصحاب الأسد قد اجتمعوا على هلاكى، فلن أمتنعَ عنهم. وإن رأى الأسد على عكسهم، فلا ينفعنى ذلك، ولا يُغنى عنى شيئا. قال دمنة : فماذا تريد أن تصنع الآن ؟. قال شتربة : ما أرى إلا القتال. قال دمنة : لا ينبغى لأحد أن يخاطر بنفسه، وهو يستطيع غير ذلك. **وذو الرأى يجعل القتال آخر الحيل**. قال شتربة : لستُ بمقاتل الأسد، حتى يبدو لى منه ما أتخوّف فأغالبه.

كرِهَ دمنة قوْله، فلن يقاتله الأسد إنْ لم ير العلامات التى ذكرها له، وبالتالى سيتهمه ويسىء الظن به، فقال: اذهب إلى الأسد فستعرف حين ينظر إليك ما يريده منك. قال شتربة : وكيف أعرف ذلك ؟. قال دمنة : سترى الأسد مقعيًا على ذنبه، رافعا صدره إليك، مادًا بصره نحوك، ومستعدا للوثب عليك. قال شتربة :

إنْ رأيت تلك العلامات من الأسد عرفت صدقك فى قولك.

«دمنة» ينقض الوعد

لمّا نجح دمنة فى زرْع الفتنة بين الأسد والثور؛ توجّه إلى كليلة ؛ فسأله: إلام انتهى عملك ؟. قال دمنة : على أكمل ما أحبُّ وتحب. ثم انطلقا ليحضرا قتال الأسد والثور. وجاء شتربة فدخل على الأسد فرآه كما وصفه له دمنة . ثم إنّ الأسد نظر إلى الثور فرأى الدِّلالات التى ذكرها دمنة . فسرعان ما تواثبا واشتد قتالهما، وسالت بينهما الدماء، وانتهت المعركة، فقال كليلة : أيها الأحمق: لقد جُرح الأسد وهلك الثور، **وإنّ العاقل ليدبّر الأمورَ ويقيسها قبل مباشرتها، فما وجد ما يتمّه منها أقدم عليه، وما تعذر منها لم يلتفت إليه**. وإنى لأخاف عليك عاقبة ظلمك وبغيك؛ فإنك أحسنت القول



ولم تُحسن العمل. **أين وعدك أنك لا تضرّ بالأسد فى تدبيرك ؟، وقد قيل: لا خير فى القول إلا مع العمل، ولا فى الفقه إلا مع الورع، ولا فى المال إلا مع الجود، ولا فى الصدق إلا مع الوفاء، ولا فى الحياة إلا مع الصحة، ولا فى الأمن إلا مع السرور**، وأنت يا دمنة أردتَ ألا يدنو من الأسد أحدٌ سواك، وهذا أمر لا يصحّ، **فالبحرُ بأمواجه، والسلطانُ بأصحابه**، ومن الحماقة نفع النفس بضرّ الغير. ولا فائدة فى عظتى لك. كما قال الرجل للطائر: **لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم ولا تؤدب من لا يتأدب**. قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟

ليس كل ما يلمع نارا

قال كليلة: كان جماعة من القردة يسكنون فى جبل، وفى ليلة شديدة البرد، التمسوا: أى طلبوا نارا؛ فلم يجدوا. فرأوْا ذبابة لامعة تطير فظنوها نارا، وجمعوا حطبا كثيرا فألقوه عليها، وجعلوا ينفخون طمعا أن يوقدوا نارا يستدفئون بها، وكان قريبا منهم طائر فوق شجرة، فجعل يناديهم ويقول: لا تُتعبوا أنفسكم، فما رأيتموه ليس بنار، واقترب منهم لينهاهم عمّا هم فيه، فمرّ رجل فقال له: **لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم، فإنّ الحجر الصلب الذى لا ينقطع لا تجرّب عليه السيوف**. ولكن الطائر لم يطعْه، وتقدم إلى القردة ليعرّفهم أنّ الذبابة ليست بنار، **فأخذه أحد القردة فضرب به الأرض فمات**.

اللئيمُ والمغفلُ والقاضى

قال كليلة : **لقد غلب عليك الخداع والفجور، وهما رذيلتان: الخداع أسوأهما**، ولهذا مثل. قال دمنة : وما المثل ؟. قال كليلة : اشترك لئيم ومغفل فى تجارة وسافرا، وبينما هما فى الطريق، تخلف المغفل لبعض حاجته، فوجد كيسا به ألف دينار، فأخذه وأخبر اللئيم، فقعدا لاقتسام المال. فقال المغفل: خذ نصفه وأعطنى نصفه. وكان اللئيم قد قرر فى نفسه أن يأخذها جميعا. فقال له: لا نقتسم، ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها، وندفن الباقى فى جذع



هذه الشجرة. فإذا احتجنا جئنا فنأخذ حاجتنا منه. فأخذا منه القليل، ودفنا الباقى، ثم إن اللئيم خالف المغفل إلى الدنانير فأخذها، وسوى الأرض كما كانت.

وجاءا بعد أشهر فحفرا، فلم يجدا شيئا، وأصرّ اللئيم بأنّ المغفل أخذها، وطال بينهما الجدال، فذهبا إلى القاضى. وعرف القاضى قصتهما، وإصرار اللئيم على اتهامه للمغفل، فسأله القاضى عن البيّنة: أى الدليل، فقال: **الشجرة تشهد أنّ المغفل أخذ الدنانير**. وكان اللئيم قد اتفق مع أبيه أن يتوارى فى الشجرة، بحيث إذا سُئل أجاب. وانطلق القاضى ومن معه واللئيم والمغفل إلى الشجرة. فسأل القاضى الشجرة؛ فقال الشيخ من جوفها: نعم. المغفلُ أخذها. اشتد تعجب القاضى، **فأمر أن تُحرق الشجرة**، فأضرمت فيها النيران؛ **فاستغاث أبو اللئيم، فخرج وقد أشرف على الهلاك**، وأخبر القاضى بالحقيقة، فنزل القاضى على اللئيم ضربا، وعلى أبيه صفعا، وغرّم اللئيم الدنانير، فأخذها وأعطاها للمغفل.



باب الفحص عن أمر دمنة

النمرُ يكشفُ السرّ

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: حدثتنى عن الواشى الماهر المحتال، كيف يُفسد بالنميمة المودّة الثابتة بين المتحابيْن ؟، فحدثنى بما كان من حال دمنة ، وما آل أمره إليه بعد هلاك شتربة ؟. قال بيدبا : لقد ندم الأسد على قتله، وذكر أنه كان أكرم أصحابه، وأخصّهم منزلة لديه، وأقربهم إليه. وكان يشوره دون خواصّه، وصار دمنة من أخصّ أصحابه بعد الثور والنمر.

ذات ليلة، خرج النمر فى جوف الليل من عند الأسد يريد منزله، ولمّا كان أمام منزل كليلة ودمنة ، سمع كليلة يقول لـ دمنة :

- سيكون مصرعك شديدا إذا انكشف للأسد أمرك، وعرف كيْدك وغدرك، وبقيتَ لا ناصر لك. فلستُ متخذك بعد اليوم خليلا، ولا مُفش إليك سرّا. قال العلماء: **تباعد عمَن لا رغبة فيه.**



لمّا سمع النمر كلامهما، رجع إلى أمّ الأسد؛ فأخذ عليها العهود ألا تفشى ما يُسرّ إليها، فعاهدته، فأخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنة . فلمّا أصبحت دخلت على الأسد؛ فوجدته حزينا مهموما، فسألته: ما كل هذا الهم الذى غلب عليك ؟. قال: يحزننى قتل شتربة ، إذ تذكرتُ

صُحبته ومواظبته على خدمتى، وما كنتُ أسمع من نصيحته، وأصغى إلى مشورته. قالت أم الأسد: لقد أخطأت خطأ جسيما؛ فكيف أقدمتَ على قتل الثور بلا علم ولايقين ؟، **ولولا ما قالت العلماء فى إذاعة الأسرار، لأخبرْتك بما علمت**. قال الأسد: إن كان عندك رأى فلا تطويه عنى، وإن كان قد أسرّ إليك أحدٌ بسرّ؛ فأخبرينى به وأطلعينى عليه. فأخبرته بكل ما قاله النمر دونا عن ذكر اسمه. فما لبث أن استدعى أصحابه وجنده، ثم أمر أن يؤتى بـ دمنة فى التوّ واللحظة.

مراوغة «دمنة»

فلمّا وقف دمنة بين يدى الأسد، ورأى ما عليه من الحزن والكآبة، التفت إلى بعض الحاضرين فقال: ما الذى حدث ؟، وما الذى أحزن الملك ؟. فقالت أم الأسد: أحزن الملك بقاؤك ولو طرْفة عين، ولن يدعك بعد اليوم حيّا. قال دمنة : ما ترك الأول للآخر شيئا، وقالت العلماء: **من صدق ما ينبغى أن يُكذب، وكذب ما ينبغى أن يُصدق؛ خرج من مصاف العقلاء، وكان جديرا بالازدراء**، فينبغى ألا يعجّل الملك فى أمرى بشُبْهة، ولست أقول هذا كراهة للموت: **فالموت وإن كان كريها لا مَنجى منه وكل حىّ هالك**. فقال بعض الجند: لم ينطق بهذا لحبه للملك، ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر لها. فقال دمنة : ويلك، وهل فى التماس العذر لنفسى عيب ؟. لقد ظهر منك ما لم تستطع كتمانه من الحسد والبغضاء، ولقد عرف كل من سمعك أنك لا تحب الخير لأحد، وأنك



عدو نفسك، فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم، أو بباب الملك. فقالت أمُّ الأسد لـ دمنة : عجبتُ منك أيها المحتال فى قلة حيائك، وشدة وقاحتك. ألا ترونَ هذا الشقى مع عظم ذنبه، كيف يجعل نفسه بريئا كمن لا ذنب له ؟!. قال دمنة : **إنما الشقى من لا يقدر على دفع الشر عن نفسه**. قالت أم الأسد: أتظن بقولك أيها الغادر أن تخدع الملك، ولا يسجنك ؟. قال دمنة : الغادرُ هو الذى لا يأمن عدوه مكره، وإذا استمكن من عدوه قتله على غير ذنب. قالت أم الأسد: أيها الكذوب، أتظن أنك ناج من عاقبة كذبك ؟. قال دمنة : الكذوب الذى يقول ما لم يكن، ويأتى بما لم يقل ولم يفعل، وكلامى واضح مُبين. نهضت أم الأسد وخرجت، فدفع الأسد دمنة إلى القاضى، فأمر القاضى بحبسه.

بين كليلة ودمنة

لمّا انتصف الليل، علم كليلة أنّ دمنة فى الحبس، فأتاه مستخفيا، فلمّا رآه وما هو عليه من القيود، بكى، وقال له: ما وصلتَ إليه جرّاء خديعتك ومكرك، وسدّ أذنيك عن العظة. وكنتُ أضربُ لك الأمثال، وأذكرك قول العلماء. قال دمنة : عرفتُ صدق مقالتك، وقد قالت العلماء: لا تجزع من العذاب على خطاياك، ولئن تُعذب فى الدنيا بجُرمك، خيرٌ من أن تُعذب فى الآخرة بجهنم مع الإثم. قال كليلة : ولكن ذنبك عظيم، وعقاب الأسد شديد أليم.



كان بقربهما فهد سجين. يسمعهما دون رؤيته،



فعرف معاتبة كليلة لـ دمنة ، وأنّ دمنة مُقرّ بسوء فعله، وعطم ذنبه، فحفظ المحاورة بينهما، وكتمها ليشهد بها إن سُئل عنها. وفى الصباح؛ استدعى الأسد النمر، وهو صاحب القضاء، ولمّا حضر، قال له: ناد الجند جميعا أن يحضروا وينظروا حال دمنة ، ويبحثوا عن شأنه، ويفحصوا عن ذنبه، ويُثبتوا قوله وعذره فى كتب القضاء.

وما أن خرج النمر القاضى من عند الأسد، ليعمل بمقتضى ما أمر به، فأمر أن يُؤتى بـ دمنة ، فأتى به. فقال القاضى: أيها الجمع: من علم من أمر هذا المحتال شيئا، فليتكلم به على رءوس الأشهاد، ليكون ذلك حُجة عليه، وقد قيل: **إنّ من كتم شهادة ميت ألجم بلجام من نار يوم القيامة**؛ فليقل كل منكم ما علم. فلمّا سمع الجمع كلامه؛ أمسكوا عن القول؛ فقال دمنة : ما يُسكتكم ؟. تكلموا بما علمتم، وقد قالت العلماء: من يشهد بما لم ير؛ أصابه ما أصاب الرجل الذى قال بما لا يعلمه: إنى أعلمه. قالت الجماعة: وكيف كان ذلك ؟.

الطبيب المزيف

قال دمنة : كان فى إحدى المدن؛ طبيبا رحيما، وذا علم، وكان موفقا فى كل علاجه؛ فكُبر ذلك الطبيب وضعُف بصره، وكان أن مرضت الأميرة ابنة ملك البلاد، فجىء بهذا الطبيب، وسأل الأميرة عن وجعها، فأخبرته؛ فعرف داءها ودواءها وقال: لو كنت أبصر لجمعتُ العقاقير على معرفتى بأصنافها، ولا أثق فى ذلك بأحد غيرى.



وكان فى المدينة رجل سفيه؛ فبلغه الخبر، فأتاهم وادّعى علم الطب، وأعلمهم أنه خبير بمعرفة توليفة الأدوية والعقاقير، وعارفٌ بالأدوية المركبة، فأمره الملك أن يدخل خزانة الأدوية فيأخذ منها حاجته. ولمّا دخل السفيه الخزانة، وعُرضت عليه الأدوية، ولا يدرى عنها شيئا، فأخذ فى جملة ما أخذ؛ صُرّة فيها سُمّ قاتل فى حينه، وخلطه فى الأدوية، ثم سقى الأميرة، فماتت لوقتها، ولمّا عرف الملك ذلك دعا السفيه، فسقاه من الدواء فمات لحينه.

وإنما ضربتُ لكم هذا المثل لتعلموا، **أن القائل إذا خرج عن حدّه وتكلم بغير علم؛ أصابه ما أصاب ذلك الجاهل**، وتكلم من تكلم من الحضور. ثم إنّ الأسد بكر من الغد، ودخلوا عليه، ووضعوا كتاب القضاء بين يديه، فلمّا عرف قولهم وقول دمنة ، دعا الأسد أمه فقرأه عليها. مثُل دمنة بين يدى القاضى الذى قال: يا دمنة : قد أنبأنى بخبرك الأمين الصادق، وليس ينبغى أن نفحص عن شأنك أكثر من هذا، فقد ثبت عندنا. والرأى لك يا دمنة : أن تعترف بذنبك وتقر به وتتوب.

النمرُ قاضيا وشاهدا!

أمّا دمنة فقد أخذته العزة بالإثم، ولم يعترف بذنبه. ونهض القاضى ورفع الكتاب إلى الأسد، فنظر فيه، ثم دعا أمه فعرضه عليها. فقالت: إننى أتخوف من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه حتى يُفسد عليك أمرك، وبالأمس قتلت صديقك بغير ذنب. قال الأسد: أخبرينى عن الذى أخبرك

عن دمنة ، فيكون حُجّة لى فى قتله. قالت: **أكره أن أفشى سرًا استأمننى صاحبه عليه، وسأطلب منه أن يجعلنى فى حلّ من ذكره لك، ويؤدى هو شهادته بما علم وسمع.**

وأرسلتْ إلى النمر، وذكرتْ له ما يجب عليه من معاونة الأسد على الحق، **وإدلائه بالشهادة التى لا يكتمها مثله، وما يجب عليه من نُصرة المظلوم، وتثبيت حُجة الحق فى الحياة والممات.**

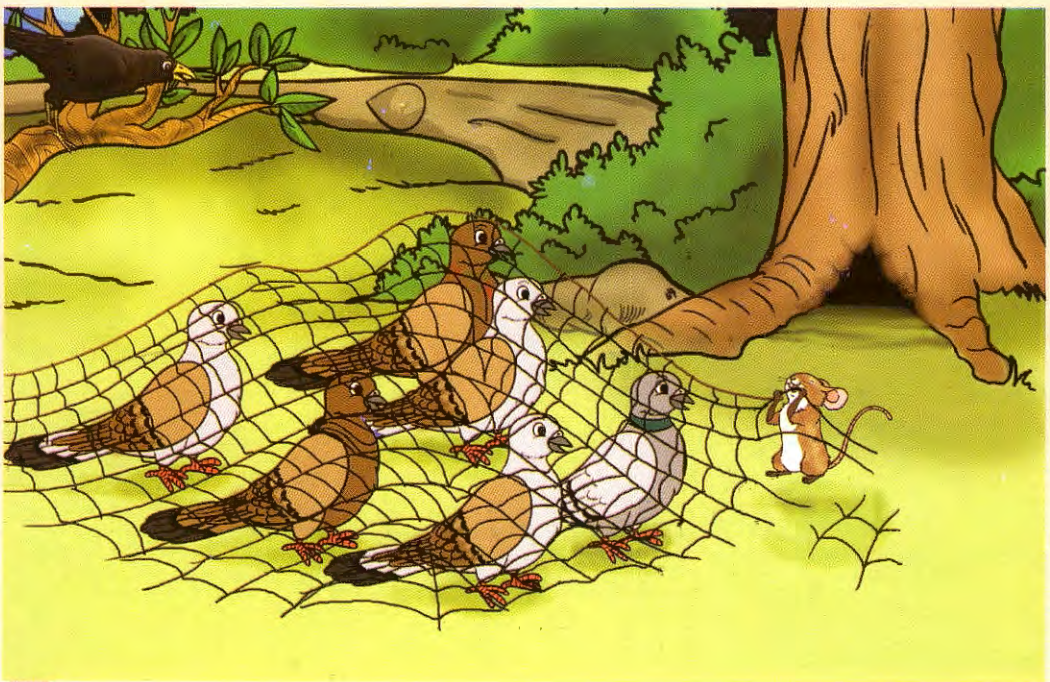


قالت العلماء: من كتم حُجة ميت أخطأ حُجّته يوم القيامة. دخل النمر على الأسد وأدلى بشهادته. فلما شهد النمر؛ أرسل الفهد المحبوس إلى الأسد فقال: إنّ عندى شهادة، فأخرجوه، فشهد على دمنة بما سمع من إقراره. فقال لهما الأسد: ما منعكما أن تقوما بشهادتكما، وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة ؟؛ فقالا: قد علمنا أن شهادة الواحد لا توجب حكما فكرهنا التعرض لغير ما يمضى به الحكم، حتى إذا شهد أحدنا قام الآخر بشهادته؛ فقبل الأسد قولهما، وأمر بـ دمنة أن يقتل فى حبسه. ذلك فمن أراد منفعته بضُرّ غيره بالخديعة والمكر؛ فإنه سيجزى عليهما. ولمّا علم كليلة مصيرَ أخيه دمنة ؛ مات حزنا وكمدا.

باب الحمامة المطوّقة:

حب لأخيك ما تحب لنفسك

قال دبشليم الملك لـ«بيدبا» الفيلسوف: سمعتُ مثل المتحابيِّن كيف فرّق بينهما الكذوب، وما انتهت إليه عاقبة أمره. حدثنى عن الصفوة من الأصدقاء؛ كيف يتواصلون، ويستمتعون بعضهم ببعض؟. قال الفيلسوف: **الأصدقاء هم الأعوان على الخير كله، والمواسون عند المكاره**. مثلهم فى ذلك مثل الحمامة المطوقة والجُرذ والظبى والغراب. قال الملك: وكيف كان ذلك ؟. قال بيدبا : كان بإحدى المدن مكانا كثير الصيد، يرتاده الصيادون، وكان



بالمكان شجرة كثيفة الأغصان ملتفّة الأوراق، فيها وكر غراب. وبينما كان الغراب فى وكره؛ بصُر بصياد مُقبلا نحو الشجرة، يحمل على كتفه شبكة، وبيده عصا، فخاف منه الغراب، وقال: لقد جاء هذا الصياد لاصطيادى، أو اصطياد غيرى.

ثم إنّ الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحَب، وتوارى قريبا منها. مرّت حمامة يقال لها المطوّقة، وكانت سيدة الحمام، ومعها حمام كثير، فرُحْن إلى الحبّ يلتقطنه، فعلقن بالشبكة جميعا، وأقبل الصياد فرحا مسرورا. فجعلت كل حمامة تحاول الخلاص بنفسها، فقالت المطوقة: **كل تحب لأختها ما تحبه لنفسها، ولنتعاون جميعا، فنقلع الشبكة، فننجو**. فطرْن بالشبكة وعلوْن فى الجو، ولم ييأس الصياد ظنا أن يقعن. فقال الغراب: لأتبعهن وأرى ما يكون.. التفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن؛ فقالت للحمام: الصياد يتبعنا، فلنتوجّه إلى العمران؛ حتى لا يرانا فينصرف، وبمكان كذا جُرَذ هو لى أخ، فلو ذهبنا إليه قطع عنا الشبكة. ففعلن ذلك، ويئس الصياد فانصرف، وتبعهن الغراب.

الجُرذ والمطوّقة والغراب

قال بيدبا : فلما انتهى الحمام إلى الجرذ، أمرت المطوقة أن يسقُطن. وكان للجرذ مائة جحر؛ فنادته المطوقة باسمه، فأجابها: من أنت ؟. قالت: أنا صديقتك المطوقة. فسعى إليها، وقال: من أوقعك فى هذه الورطة ؟. قالت: **الشر والخير أمر مُقدّر**. ثم إنّ الجرذ أخذ فى قرض العقد الذى فيه المطوقة. فقالت: ابدأ بقطع عقد سائر الحمام، وبعد ذلك عقدى. قال لها: إنّ لنفسك عليك حقا، فاشفقى بها. قالت: **أخشى إن بدأت بعقدى أن تملّ وتكسل عن قطع ما بقى**. قال الجرذ: هذا مما يزيد المودّة. وقرض الجرذ



الشبكة، فانطلقت المطوقة وحمامها.

فلمّا رأى الغراب صُنع الجرذ؛ رغب فى مصادقته، فجاء وناداه باسمه، فأخرج الجرذ رأسه. فقال للغراب: ما حاجتك ؟. قال: إنى أريد مصادقتك. قال الجرذ: ليس بينى وبينك تواصل، **والعاقل يطلب ما يجد إليه سبيلا، ويترك ما ليس إليه سبيل، فإنما أنت الآكل وأنا طعام لك**. قال الغراب: إن مودّتك خير لى مما ذكرت، وليس من المروءة أن أطلب مودّتك وتردّنى خائبا؛ فقد ظهر منك من حُسْن الخلق ما رغّبنى فيك، وإن لم تظهر ذلك: فإن العاقل لا يخفى فضله إن هو أخفاه، كالمسك ينتشر طيبه، وتفوح رائحته وإن كان خافيا. قال الجرذ: العداوة عداوتان: منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والأسد، ومنها ما قوته من أحد الجانبين؛ كعداوة ما بينى وبين السنور، وبينى وبينك. والعداوة التى بيننا ليست تضرك وإنما ضررها عائد علىّ. والعاقل لا يستأنس إلى العدو الذكى.

إناءُ الذهب

قال الغراب: **إن المودّة بين الصالحين سريع اتصالها بطىء انقطاعها**: مثل إناء الذهب: هيّن الإصلاح إذا أصابه كسر. والمودّة بين الأشرار سريع انقطاعها بطىء اتصالها: كإناء الفخار سريع الكسر ولا وصْل له بالمرة. والكريم يودّ الكريم، واللئيم لا يودّ أحدا إلا عن رغبة أو رهبة، وأنا محتاج لودّك لأنك كريم، وأنا ملازم لبابك غير ذائق لطعام حتى تؤاخينى. قال الجرذ: لقد قبلت إخاءك، فأنا لم أردّ أحدا عن حاجة قط، وإنما أردتُ التوثق لنفسى، فإن غدرتَ بى لم تقل: إنى وجدتُ الجرذ سريع الانخداع. ثم خرج



الجرذ من جُحره، فوقف عند الباب، فقال له الغراب: ما يمنعك من الخروج إلىّ والاستئناس بى ؟، فهل فى نفسك ريبة منى ؟. قال الجرذ: إنّ أهل الدنيا يتواصلون فيما بينهم فى أمرين: وهما: ذات النفس وهم الأصفياء، وذات اليد وهم المتعاونون: الذين ينتفعون من بعضهم البعض. **ومن يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا، مثله كمثل الصياد وإلقائه الحبّ للطير، لا يريد بذلك إلا نفع نفسه**. وإنى وثقت بك بذات نفسك، ومنحتك من نفسى مثل ذلك. وليس يمنعنى من الخروج إليك سوء ظن بك، ولكن لك أصحابا هيئتهم كهيئتك، وليس رأيهم فىّ كرأيك. قال الغراب: **إنّ من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا، ولعدوّ صديقه عدوّا**، وليس لى بصاحب من لايكون مُحبّا لك. ثم إنّ الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا وأنس كل منهما بصاحبه. وعاشا معا.

من حكاوى الجُرذ

وذات يوم؛ قال الغراب للجرذ: إنّ جُحرك قريب من طريق الناس، وأخافُ أن يرميك الصبيان بحجر، ولدىّ مكانا فى عُزلة، ولىَ فيه صديق من السلاحف، ونحن واجدون هناك ما نأكل، فأريد أن أنطلق بك إلى هناك فنعيش آمنين. قال الجرذ: إنّ لى أخبارا وقصصا؛ سأقصّها عليك هناك، فافعل ما تريد. **فأخذ الغراب بذنب الجرذ وطار به!**. فلمّا دنا من العين التى فيها السلحفاة، بصُرت بهما فأصابها الذعر، ولم تعلم أنه صاحبها؛ فناداها، فخرجت إليه، وسألته فأخبرها بقصته. فلمّا سمعت السلحْفاة شأن الجرذ، عجبتْ من عقله ووفائه ورحّبت به. ثم قال الغراب للجرذ: أقصص علينا ما



شوقتنى إليه من قصص وأخبار.

قال الجرذ: كان مسكنى فى بيت رجل ناسك: أى عابد، وكان يُؤتى فى كل يوم بسلة من الطعام فيأكل منها حاجته، ويعلق الباقى، وما أن يخرج الناسك لأقفز إلى السلة، فلا أترك فيها طعاما إلا أكلته وأرمى به إلى الجرذان. فتعب الناسك أن يعلق السلة فى مكان لا أناله فلم يقدر على ذلك.

وذات ليلة نزل به ضيف فأكلا، ثم أخذا فى الحديث؛ فقال الناسك للضيف: من أى أرض أقبلت ؟، وكان الرجل قد جاب الآفاق، ورأى العجب العُجاب، فراح يحدثه، وجعل الناسك يصفق بيديه، ليُبعدنى عن السلة، فغضب الضيف، إذ ظن أنّ الناسك يهزأ بحديثه، فاعتذر إليه، وقال: إنما أصفق لأبعد جرذا قد تحيرت فى أمره، فلستُ أضع فى البيت شيئا إلا أكله، وما أستطيع له حيلة.. قال الضيف: لقد ذكرتنى قول الذى قال: **لأمر ما باعت هذه المرأة سمسمها مقشورا بغير مقشور**. قال الناسك: وكيف كان ذلك ؟.

سمسم مقشور بغير مقشور!

قال الضيفُ للناسك: نزلتُ مرة على رجل، فتعشّينا، ثم ذهب إلى فراشه، فسمعته يقول لامرأته: إنى أريد أن أدعوَ جماعة من الناس ليأكلوا عندنا؛ فاصنعى لهم طعاما. فقالت المرأة: كيف تدعو الناس إلى طعامك، وليس فى بيتك فضل عن عيالك ؟. وأنت رجل لا تُبقى شيئا ولا تدخره. قال الرجل: **لا تندمى على إطعام أو إنفاق**، فإنّ الجمع والادخار ربما عاقبته ما حدث للذئب. قالت المرأة: وكيف كان ذلك ؟.

قال الرجل: خرج صياد ذات يوم ومعه قوْسه وسهامه، فلم يمض بعيدا حتى

رأى ظبيا فرماه، فحمله ورجع إلى منزله، فاعترضه خنزير برّى فرماه بسهم نفذ فيه، فأدركه الخنزير وصربه بأنيابه ضربة أطارت من يده القوس، ووقعا ميّتين. فأتى عليهم ذئب فقال: هذا الرجل والظبى والخنزير يكفينى أكلهم مدة، ولأبدأ بأكل الوتر فيكون قوت يومى، فما أن قطع الوتر طار طرف القوس فضربت حلقه فمات.



وإنما ضربْتُ هذا المثل لتعلمى **أن الجمع والادخار وخيم العاقبة**. فقالت المرأة: نعم ما قلت وعندنا من الأرز والسمسم ما يكفى ستة نفر أو سبعة، فأنا ذاهبة لإعداد الطعام فادعُ من أحببتَ. وأخذت المرأة سمسما فقشرته، وبسطته فى الشمس ليجف، وذهبت لتجهيز الأرز، فجاء كلبٌ وأفسد السمسم، فكرهتْ المرأة أن تصنع منه طعاما، وذهبت إلى السوق، فأخذت تقايض به سمسما غير مقشور، وأنا واقف فى السوق؛ فقال رجل: لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بسمسم غير مقشور. وكذلك قوُلى فى ذلك الجرذ، فلتأتنى بفأس لأحفر جُحره لعلى أطلع على بعض شأنه.

رأسُ كل بلاء

قال الجرذ للغراب والسلحفاة: أحضر الناسك فأسا للضيف، وأنا حينئذ فى جُحر غير جُحرى أسمع كلامهما. وفى جُحرى كيس به مائة دينار؛ لا أدرى من وضعها، فحفر الضيف حتى انتهى إلى الدنانير، فأخذها وقال للناسك: ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب إلا بهذه الدنانير: فقد جعل المال له قوة ووجاهة فى الرأى والتمكن. وسترى أنه لن يقدر على الوثوب بعد.

فلمّا كان الغد اجتمع الجرذان من حولى فقالت: قد أصابنا الجوع وأنت



رجاؤنا. فانطلقتُ إلى السلة، فحاولت الوثوب مرارا ولم أقدر. تبين للجرذان عجزى، فقلن: فلننصرف عنه، ليس عنده شيئا يقدّمه لنا، بل إنه فى حاجة إلى من يعوله. فتركتْنى ولحقت بأعدائى، واغتابونى عند كل من عادانى. فقلت فى نفسى: **ما الأعوان وما الأصدقاء إلا بالمال**، ووجدتُ من لا مال له فهو عاجز عما يطلب، ووجدت من لا أصدقاء له لا أهل له، ومن لا ولد له لا ذكر له، ومن لا مال له لا عقل له، ولا دنيا ولا آخرة له. لأنّ الرجلَ إذا افتقر قطعه أقاربه وأصدقاؤه. **ووجدتُ الفقر رأس كل بلاء**. ووجدتُ الرجل إذا افتقر: اتهمه من كان له مؤتمنا، وأساء به الظن من كان يظن به حُسْنا، **والموت أهْون لصاحب المسألة**. وكان الضيف قد اقتسم الدنانير مع الناسك. وحاولتُ استردادها، فضربنى الضيف بقضيب ضربة أسالت منى الدم. فكرهتُ المال، **ووجدتُ الأسفار البعيدة أهون من مدّ اليد**. وانتقلت من بيت الناسك إلى البرية. وعرفت أنه **ينبغى على العاقل أن يرضى من الدنيا الكفاف الذى يدفع به الأذى عن نفسه**.

أصحاب الفضل

قالت السلحفاةُ للجرذ: سمعتُ كلامك، وما أحسن ما تحدثت به، ولكن ما زلتَ تذكر بقايا أمور فى نفسك؛ فاعلم أنّ **حُسن الكلام لايتم إلا بحُسن العمل، وأنّ المريض الذى علم دواء مرضه إنْ لم يتداوَ به لم يُغن علمه به شيئا، ولا يُشفى من مرضه**، فاستعمل رأيك، ولا تحزن لقلة المال، **فإنّ الرجل ذا المروءة قد يُكرم على غير مال**: كالأسد الذى يُهاب وإنْ كان رابضا. والغنىّ الذى لا مروءة له: يُهان وإن كان كثير المال: كالكلب لا يُحفل به وإنْ

طُوّق عنقه بطوق من الذهب.



فلا تكبُرنّ عليك غُربتك: فإنّ **العاقل لا غربة له**: كالأسد الذى لا ينطلق إلا ومعه قوته. فلتسترد ثقتك بنفسك، فإذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك، وإنما **جُعل الفضل للحازم البصير بالأمور، وأمّا الكسلان المتردد فإن الفضل لا يصحبه**. قيل فى أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظلّ الغمامة فى الصيف، ومصادقة الأشرار، والبناء على غير أساس، والمال الكثير. ومالُ العاقل عقله وما قدّم من صالح عمله، وهو لا يغفل عن أمر آخرته، فإنّ الموت لا يأتى إلا بغتة، وأنت بعلمك فى غنى عن موعظتى، ولكنّ هذا حقك علينا لأنك صديقنا، وما عندنا من النصح مبذول لك.

شكر الغراب صديقته السلحفاة، على حُسن استقبالها للجرذ ونصائحها له وإكرامه، وقال: إنّ الكريم إذا زلّ: أى **وقع لا يأخذ بيده إلا الكرام**: كالفيل إذا وقع فى الوحل لا تخرجه إلا الفيلة.

فبينما الغراب فى كلامه، أقبل نحوهم ظبى؛ فذعرت منه السلحفاة، فغاصت فى الماء، ودخل الجرذ جُحره، وطار الغراب، ثم حلق فى الأفق لينظر هل للظبى مُطارد ؟، فلم ير شيئا، فنادى الجرذ والسلحفاة، وخرجا.

وفاء الأصدقاء

قالت السلحْفاةُ للظبى: لا تخف؛ فلا خوف عليك. دنا الظبى فرحّبت به السلحفاة وحيّته وقالت له: من أين أقبلت ؟. قال: كنت أنطلق فى الصحارى، فلم يزل الصيادون تطاردنى. قالت: لا تخف، فإنّا لم نر هاهنا صيادا قط، ونحن نبغى وُدّك والعيش معنا، والماء والمرعى كثير عندنا. فأقام الظبى معهم. وكان لهم سقيفة



يجتمعون فيها، ويتبادلون الأحاديث والأخبار.

وغاب الظبيُ ذات مرة، ولمّا أبطأ، حلق الغراب فى الأفق، فإذا الظبى فى الحبائل مقيدا. فأخبرهما الغراب. فقال الجرذ: هذا دورى، وانطلق مسرعا إلى الظبى. وهما فى حديثهما؛ جاءت السلحفاة.. قال الجرذ: لم جئت، وأنت ثقيلة ؟!، ولو جاء الصياد وكنتُ حررتُ الظبى؛ لم يجد غيرك!. قالت السلحفاة: **لا عيْش مع فراق الأحبة، وإذا فارق الأليف أليفه فقد سُلب فؤاده وحُرم سروره، وغشى بصره.** وجاء الصياد؛ وكان الجرذ قد خلص الظبى فنجا بنفسه، وطار الغراب مُحلقا، ودخل الجرذ بعض الأحجار. لم يجد الصياد الظبى والحبال مقطعة!. تلفت من حوله، فوجد السلحفاة فأخذها وربطها.

راح الجرذ يبكى على السلحفاة، وينطق بالحكم والأمثال. قال الظبى: إنّ كلامك وإن كان بليغا لا يُغنى عن السلحفاة شيئا. **إنما يُختبر الناسُ عند البلاء، وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء، والأهلُ والولدُ عند الفاقة، ويُختبر الأصدقاء عند النوائب.**

واتفقوا على حيلة: فظهر الظبى للصياد، فما لبث أنْ ترك السلحفاة، وانشغل بمراقبة الظبى، والظبى يحاوره ويستدرجه بعيدا عن السلحفاة، حين انطلق الجرذ يخلص السلحفاة من القيد، وكان الصياد قد أنهك، فرجع إلى السلحفاة، فلم يجدها، والحبال مقطعة أيضا. فكر الصياد فيما جرى من الأحداث الغريبة، وداخله الخوف؛ فقال: هذه أرض جنّ أو سحرة. وسرعان ما لاذ بالفرار. واجتمع الأصدقاء تحت السقيفة سالمين آمنين كأحسنَ ما كانوا عليه.

بابُ البومِ والغربان:

اندلاعُ الحرب

قال دبشليم الملك لـ«بيدبا» الفيلسوف: سمعتُ مثل الأصدقاء وتعاونهم، فاضرب لى مثل العدو الذى لا ينبغى الوثوق به، وإنْ نافق وتضرع. قال الفيلسوف: من وثق بالعدو الذى ما زال عدوا؛ أصابه ما أصاب البوم والغربان.

قال الملك: وكيف كان ذلك ؟.

قال بيدبا : كان فى أحد الجبال شجرة عظيمة، فيها وكر ألف غراب!، يرأسهن ملك الغربان. وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة، يرأسهن ملك البوم. وكان بينهما عداوة. فذات ليلة أغار البوم بقيادة ملكهم على الغربان فى أوكارها، فقتل وجرح الكثير. واجتمعت الغربان إلى ملكها تتشاور فى تلك الكارثة. وكان فى الغربان خمسة مشهود لهم بحُسن الرأى. فسألهم الملك، فقال أولهم: ليس للعدو الغضوب إلا الهرب منه. وقال الثانى مثل الأول. فقال الملك: لا أرى هذا رأيا: أن نرحل من أوطاننا ونُخليها لعدونا من أول نكبة أصابتنا منه. **لا ينبغى لنا ذلك؛ بل نجمع أمرنا، ونستعد لعدونا، ونوقد نار الحرب بيننا وبينه، ونقاتله قتالا لا رجعة فيه، حتى نوقع به شر هزيمة**. وقال الثالث: ما أرى ما قالا رأيا، ولكن نبثّ العيون، ونبعث الجواسيس، ونرسلُ إليه الطلائع، فنعلم أ يريد صُلحنا أم حربنا أم يريد الفدية ؟. فإن كانت الأخيرة نرسلها إليه كل سنة. قال الملك للرابع: فما رأيك فى هذا الصلح. قال: لا أراه رأيا، بل



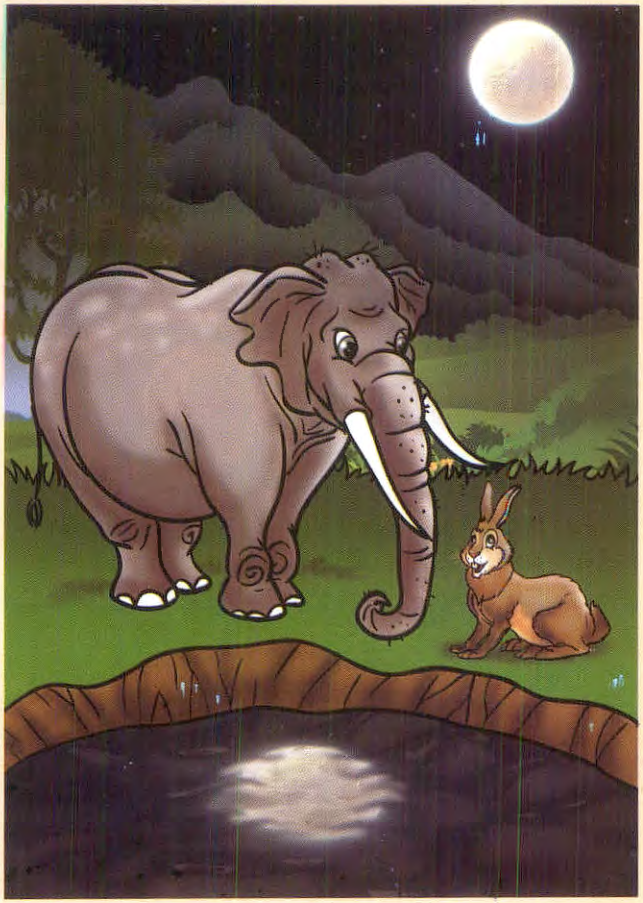
نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة خير من خضوعنا لعدو نحن أشرف منه.

أما الخامس، فقد طلب أن ينفرد بالملك. الذى بادر بسؤاله: هل تعلم ابتداء عداوة ما بيننا وبين البوم. قال: نعم: كلمة تكلم بها غراب. قال الملك: وكيف كان ذلك ؟.

فيروز: عين القمر

قال الغراب: كان جماعة من طيور الكراكى، لم يكن لها ملك، فأجمعت رأيها أن يكون ملك البوم ملكا عليها، وأثناء الاجتماع، زارهنّ غراب، فاستشرنه فقال: لو أنّ الطير بادت، وفُقد الطاووس والنعام والحمام من العالم لما رضيتن أن يكون عليكن البوم التى هى أقبح الطير منظرا، وأسوأها خلقا، وأقلها عقلا، وأشدها غضبا، وأبعدها من كل رحمة. ولكن تدبرون أموركن برأيكن وعقولكن، كما فعلت الأرنب التى قالت: إنّ القمر ملكها، ثم عملت برأيها. قالت الكراكى: وكيف كان ذلك ؟.

قال الغراب: يُحكى أنّ أرض الفيلة أجدبت، وقلّ ماؤها، وغارت عيونها، وذوى نبتُها، ويبس شجرها، فأصاب الفيلة عطش شديد، فشكوْن إلى ملكهن. فأرسل الملك رُسُله فى طلب الماء فى كل ناحية. فرجع إليه أحدهم، وأخبره أنّ هناك عينا يقال لها عيْن القمر؛ كثيرة الماء. توجّه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العيْن ليشربوا منها. وكانت العين فى أرض الأرانب، فدُسّن الأرانب فى جُحورهن، فأهلكن الكثير، فاجتمعت الأرانب إلى ملكها، فطلب رأيهن، فتقدمت أرنب تدعى فيروز ، وكان الملك يعرفها بحُسن الرأى والأدب، فقالت: إنْ رأى الملك أن يبعثنى إلى الفيلة. فوافق الملك، وانطلقت فيروز فى ليلة قمراء، حتى



أتت الفيلة، فأشرفت على الجبل، ونادت ملك الفيلة وقالت له: إنّ القمر أرسلنى إليك. قال: فما الرسالة ؟.. قالت: لقد عرفتُ فضل قوّتك على الدوابّ فغرّك ذلك، فعمدت إلى العين التى تسمى باسمى فشربت منها وكدّرتها، فأرسلنى إليك أنذرك ألا تعود إلى ذلك، وإنك إن فعلت فسأفسد عليك كل شىء. وإن كنت فى شك من رسالتى، فهلمّ إلى العين. فانطلق ملك الفيلة مع فيروز إلى العين، فلمّا نظر إليها رأى فيها ضوء القمر.. قالت فيروز: خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك، واشكر القمر. وأدخل الفيل خرطومه فى الماء فتحرك، فخُيل له أن القمر ارتعد. فقال: ما شأن القمر ارتعد ؟: أ غضب من إدخال الخرطوم فى الماء ؟. قالت نعم. فعاد يلهج الفيل بالشكر. وتاب ملك الفيلة مما صنع. قال الغراب لطيور الكراكى: ومع ما ذكرت من أمر البوم إنّ فيها المكر والخديعة. وشرّ الملوك: المخادع، ومن ابتلى بسلطان مخادع أصاب

ما أصاب الأرنب، والصّفرد: وهو طائرٌ جبان، حين احتكما إلى السنور وهو القط. قالت الكراكى: وكيف كان ذلك ؟

كلمةٌ قالها الغراب!

قال العرابُ للكراكى: كان لىَ جار من الصفاردة فى أصل شجرة قريبة من وكرى، كان يُكثر مواصلتى، ثم فقدته، وطالت غيبته عنى، فجاء أرنب إلى مكان الصفرد فسكنه، فكرهتُ أن أخاصم الأرنب. ثم إنّ الصفرد عاد بعد زمان، فأتى منزله، فوجد فيه الأرنب. فقال له: هذا المكان لى، فاتركه. قال الأرنب: المسكن لى وتحت يدى، وأنت مدّع فإن كان لك حق فاثبته علىّ. قال الصفرد: القاضى منا قريب، وإنه سنّور متعبد: يصوم النهار ويقوم الليل. فانطلقا إلى السنور. فلمّا رآهما السنور مُقبلَيْن نحوه؛ انتصب قائما يصلى، وأظهر الخشوع. سلما عليه وسألاه أن يقضىَ بينهما. فقال: لقد بلغنى الكبر، وثقُلت أذناى، فادنوَا منى وأسمعانى. فدنوَا منه، وقصًا عليه القصة. فقال: فهمتُ ما قلتما، وإنى مبتدئ بالنصيحة قبل الحكم: فآمُرُكما بتقوى الله وألا تطلبا إلا الحق: فإنّ طالب الحق هو الذى يُفلح وإن قُضىَ عليه، وطالب الباطل مخصوم وإن قُضىَ عليه!. ثم إن السنور لم يزل يقول نصائحه حتى أنسا له، ثم وثب عليهما وقتلهما.



قال الغراب للكراكى: وغير ذلك من العيوب؛ فإن البوم شؤم، فلا يكون تمليك البوم من رأيكن. فلمّا سمع الكراكى ذلك من كلام الغراب أضربْن عن تمليك البوم.

وكان هناك بوم حاضر قد سمع ما قالوا. فقال

للغراب: لقد أصبْتنى بأذى عظيم، واعلم أنّ الجروح كلها تبرأ، إلا اللسان فلا يبرأ جُرحه. ولكل حريق مطفئ: فللنار الماء، وللسّم الدواء، وللحزن الصبر، ونارُ الحقد لا تخبو أبدا. وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء.

حيلةُ الغرابِ

قال الغرابُ الخامسُ لملك الغربان: هذا **ما** سألتنى عنه من ابتداء العداء بيننا وبين البوم. أما القتال فقد علمتَ رأيى فيه، وكراهتى له، **ولكن عندى من الرأى والحيلة ما يكون فيه الفرج إن شاء الله: فرُبّ قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا..** قال الملك: وكيف كان ذلك ؟. قال الغراب: يُحكى أنّ ناسكا اشترى خروفا كبيرا، ليذبحه تقربا إلى الله، فانطلق به، فبصُر به قوم من اللئام، فأتمروا أن يأخذوا الخروف من الناسك، فاعترضه أحدهم فقال له: أيها الناسك. ما هذا الكلب الذى معك ؟، وردّ عليه آخر: ما هذا ناسك، لأن الناسك لا يقود كلبا. فلم يزالوا مع الناسك على مثل هذا الكلام، حتى أنه لم يشك أنّ الذى يقوده كلب، وأنّ الذى باعه إياه سحر عينه!، فأطلقه من يده، فأخذه المحتالون ومضوًا به.



وإنما ضربت لك هذا المثل لكى نتخذ سبيل الحيلة، وإنى أريد من الملك أن ينقرنى على رءوس الأشهاد، وينتف ريشى وذنبى، ثم يطرحنى تحت هذه الشجرة، ويرتحل الملك وجنوده بعيدا، فأرجو أن أصبر وأطلع على أحوالهم، ومواضع تحصينهم وأبوابهم، فأخادعهم، وآتى إليكم لنهجم عليهم، ونتال منهم غرضنا إن شاء الله

تعالى. ففعل الملك بالغراب ما ذكر، ثم ارتحل عنه، فجعل الغراب يئن حتى رأته البوم وسمعته. وسأله ملكهن عن الغربان فقال: ترى أنّ حالى حال من لا يعلم شيئا، فقيل لملك البوم: هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه، فسأله الملك عن الذنب الذى اقترف، فقال الغراب: لقد سألنى ملك الغربان عن رأيى فيكن، فقلت: نلتمس الصلح، ونؤدى الفدية، وإلا هربنا إن لم ترض البوم، واتهمونى بممالأتكم، وعذبونى، وتركنى الملكُ وجنودُهُ وارتحل.

مصيرُ الغرابِ

استشار ملكُ البوم بعض وزرائه فى أمر الغراب. فقال الأول: أرى أن نقتله، فإنه أفضل الغربان، وفى قتله راحة من مكره، ومن وجد عدوه ضعيفا ولم يقتله؛ ندم إذا استقوى ولم يقدر عليه. وقال الثانى: أرى ألا نقتله، فإنه ذليل ولا ناصر له، وأهلٌ لأن يُرحم ويُصفح عنه؛ لا سيما المستجير الخائف؛ فإنه أهلٌ لأن يؤمّن. وقال الثالث: أرى أن نستبقيه ونُحسن إليه، فنفيد بنصحه، فلا بد أنه سيثأر لنفسه منهم، ويكون معنا ضدهم. وأمر الملك أن يُحمل الغراب إلى منازل البوم ويُكرم ويُستوصى به خيرا.

ثم إنّ الغراب قال للملك يوما، وعنده جماعة من البوم، وفيهن الوزير الذى أشار بقتله: أيها الملك، قد علمت ما جرى علىّ من الغربان، وإنه لا يستريح فؤادى دون أخذى بثأرى. قال الوزير الذى أشار بقتله: ما أشبهك فى خير ما تُظهر وشر ما تُبطن إلا بالخمرة الطيبة الريح المُنقع فيها السم. **وكيف تنتقم من أهلك وأنت غراب مثلهن؟، إنك لا بد وأن تعود إلى أصلك**؛ كالفأرة التى خيّرت



فى الأزواج بين الشمس والريح والسحاب؛ فلم يقع اختيارها إلا على الجرذ. قيل له: وكيف كان ذلك ؟.

الناسكُ والفأرةُ

قال الغراب: كان ناسكا يقال أنه مستجاب الدعوة. كان جالسا ذات يوم على ساحل البحر؛ إذ مرّت به حدأة فى رجلها فأرة صغيرة، فوقعت منها عند الناسك، فأخذها ولفها فى ورقة، وذهب بها إلى منزله. خاف أن تشقّ على أهله تربيتها، فدعا ربه أن يحوّلها فتاة حسناء؛ فانطلق بها إلى امرأته فقال لها: هذه ابنتى فاصنعى بها صنيعك بابنتك، فلمّا كبرت قال لها الناسك: يا بُنية: اختارى من أحببت حتى أزوّجك به. فقالت: أمّا إذا خيرتنى فإنى أختار زوجا يكون أقوى الأشياء. فقال الناسك: لعلك تريدين الشمس. ثم انطلق إلى الشمس فقال: أيها الشمس؛ لى فتاة، وقد طلبت زوجا يكون أقوى الأشياء، فهل أنت متزوجها ؟. فقالت الشمس: أنا أدلك على الأقوى منى: السحابُ الذى يحجب أشعة أنوارى. فذهب الناسك إلى السحاب، وقال له ما قال للشمس، فقال السحاب: وأنا أدلك على الأقوى منى: فاذهب إلى الريح التى تذهب بى شرقا وغربا. فجاء الناسك إلى الريح، فقالت: الجبل الذى لا أقدر تحريكه، فذهب إلى الجبل فقال: الجرذ الذى لا أستطيع منعه أن يثقبنى ويتخذنى مسكنا، فانطلق الناسك إلى الجرذ فقال له: وكيف أتزوجها وجُحرى ضيق ؟، وإنما يتزوج الجُرذ الفأرة. فدعا الناسك ربه أن يحوّلها فأرة كما كانت وذلك برضا الفتاة، فأعادها



الله فانطلقت مع الجرذ. فهذا مثلك أيها المخادع، فلا بد أن يأخذك الحنين إلى أصلك.

فلم يلتفت ملك البوم إلى هذا القول، ورفق بالغراب، ولم يزدد له إلا إكراما. **حتى إذا طاب عيشُ الغراب ونبت ريشه، واطلع على ما أراد أن يطلع عليه، راغ روغة، فأتى أصحابه بما رأى وسمع**. قال الغراب لملك الغربان: إنى قد أنجزت فى مهمتى كل ما أريد، ولم يبق إلا أن تسمع وتطيع. قال له: أنا والجند تحت أمرك، فاصنع كيف شئت.

قال الغراب: إنّ البوم بمكان كذا؛ فى جبل كثير الحطب، وفى ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع: والخطة: سنوقد هناك نارا، ونلقيها فى مساكن البوم، ونقذف عليها الحطب، ونهفهف عليها بأجنحتنا حتى تشتعل النار فى الحطب. فمن خرج من البوم احترق، ومن لم يخرج مات مختنقا بالدخان. ففعل الغربان ذلك؛ فأهلكن البوم عن آخرهم. ورجعت الغربان إلى أوكارها سالمة آمنة.

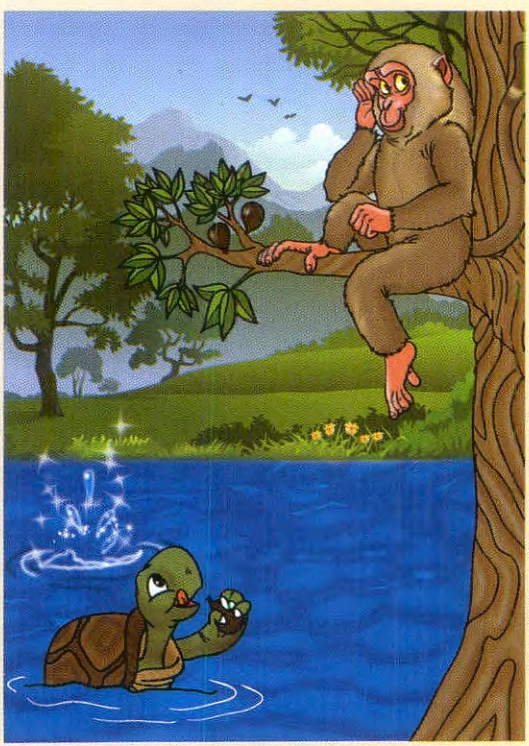


بابُ القردُ والغيَلمُ:

كيدُ الإناث

قال دبشليم الملك لـ«بيدبا» الفيلسوف: اضرب لى مثل الرجل الذى يطلب الحاجة؛ فإذا ظفر بها أضاعها. قال الفيلسوف: **إن طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها**، ومن ظفر بحاجة ولم يُحسن القيام بها؛ أصابه ما أصاب الغيَلم وهو ذكر السلحفاة. قال الملك: وكيف كان ذلك ؟.

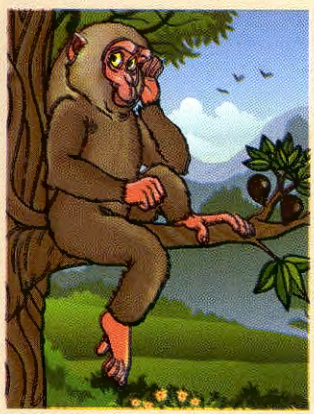
قال بيدبا : يُحكى أنّ قردا يقال له: ماهر: كان ملك القردة، وكان قد كبر وهرم؛ فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه، وأخذ مكانه. ففرّ العجوز هاربا، حتى انتهى إلى الساحل، فوجد شجرة تين، فارتقى إليها وجعلها مقامه. كان يأكل ذات يوم من هذا التين؛ فسقطت واحدة فى الماء، فسمع لها صوتا وإيقاعا، فجعل يأكل ويرمى فى الماء، فأطربه ذلك، فأكثر من إلقاء التين فى الماء.. وكان غيَلم فى الماء، كلما وقعت تينة أكلها، وقد ظن أنّ القرد إنما يفعل ذلك لأجله، فرغب فى مصادقته، وأنس إليه، وكلمه، وألف كل منهما صاحبه.



طالت غيبةُ الغيْلم عن زوجته فجزعت عليه، وشكت ذلك لجارتها، وقالت لها الجارة: إنّ زوجك بالساحل، قد صادق قردا يُطعمه، وهو الذى قطعه عنك، **ولن يُقيم عندك حتى تحتالى لهلاك القرد**. قالت: وماذا أصنع ؟. قالت: إذا وصل إليك تمارضى، فإذا سألك عن حالك فقولى: **إنّ الطبيب وصف لى قلب قرد**. ثم إن الغيلم انطلق بعد مدة إلى منزله ؛ فوجد امرأته سيئة الحال. فقال لها: مالى أراك هكذا ؟. فأجابته جارتها: إنّ امرأتك مريضة، وقد وصف لها الأطباء قلب قرد، وليس لها دواء سواه. قال الغيلم: هذا أمر عسير، من أين لى قلب قرد؟. لكن سأحتال لصديقى. ثم انطلق إلى ساحل البحر.

ورطةُ القردِ

قال القردُ للغيلم: يا أخى ما حبسك عنى ؟. قال: ما حبسنى إلا حيائى وحرجى، ولستُ أعرف كيف أجازيك على إحسانك، وأريد أن تتمّه بزيارتك لى فى منزلى: فإنى ساكن فى جزيرة طيبة الفاكهة. فاركب ظهرى لأسبح بك. وفعل القرد ذلك؛ حتى إذا سبح به. نكس الغيلم رأسه. فقال القرد: ما لى أراك مهموما ؟. فقال الغيلم: إنّ امرأتى مريضة. قال: وماذا يفيد الهم ؟. التمس ما يشفى زوجتك من الأدوية والأغذية. قال الغيلم: صدقت، وقد قالت الأطباء إنه لا دواء لها إلا قلب قرد. فقال القرد فى نفسه: يا لها من ورطة!. وكيف المَخرج ؟.. ثم قال للغيلم: وما منعك أنْ تخبرنى عند منزلى، حتى كنت أحمل قلبى معى. فتلك تقاليدنا معشر القرود: إذا خرج أحدنا لزيارة صديق ترك قلبه عند أهله. قال الغيلم: وأين قلبك الآن ؟. قال: تركته



بالشجرة، فإن شئت فارجع بى، حتى آتيك به.

فرح الغيلم وقال فى نفسه: لقد وافقنى صاحبى دون أن أغدر به. ثم رجع بالقرد إلى مكانه، فلما قارب الساحل، وثب عن ظهره وطلع الشجرة، فلما أبطأ على الغيلم ناداه: يا صديقى، احمل قلبك وانزل. فقال القرد: أتظن أنى كالحمار الذى زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان ؟. قال الغيلم: وكيف كان ذلك ؟.

دهاءُ ابن آوى

قال القردُ للغيلم: كان أسد يعيش فى أجمة كثيفة الشجر، وكان معه ابن آوى يأكل من فضلات طعامه، فأصاب الأسد جربٌ وضعفٌ شديد، فلم يستطع الصيد؛ فقال له ابن آوى: ما بالك يا سيد السباع، قد تغيرت أحوالك ؟. قال: لكم أتعبنى الجرب، **وليس له دواء إلا قلب حمار وأذناه**!. قال ابن آوى: ما أيسر هذا!.. أنا آتيك به.. وذهب ابن آوى إلى الحمار، فسلم عليه وقال له: ما لى أراك هزيلا ؟. قال الحمار: ما يُطعمنى صاحبى شيئا. فقال له: وكيف ترضى المُقام معه ؟. قال: فما لى حيلة فى الهرب، فلا أتوجّه إلى ناحية إلا أضرّ بى انسان فأجهدنى وأجاعنى.. قال ابن آوى: فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس: خصيب المرعى فيه قطيع من الحُمُر لم تر عين مثلها حُسنا وسمنا. قال الحمار: وماذا ننتظر ؟.



فانطلق به ابن آوى نحو الأسد، وتقدم ابن آوى فأخبره بمكان الحمار؛ فخرج إليه، وأراد أن يهجم عليه؛ فلم يستطع لضعفه، وأفلت الحمار

وولى هربا. فلما رأى ابن آوى ذلك قال: أعجزتَ يا سيد الوحوش إلى هذه الدرجة ؟!. فقال له: إن جئتنى به مرة أخرى فلن ينجوَ منى. فمضى ابن آوى إلى الحمار وقال له: إنّ أحد الحُمُر رآك غريبا، فخرج يلقاك مُرحّبا بك، ولو ثبتّ لآنسك ومضى بك إلى أصحابه.

صدّق الحمار ابن آوى؛ فلم يكن رأى أسدا قط، واتخذا الطريق إلى الأسد، فسبقه ابن آوى وأعلمه بمكانه، وقال له: لقد خدعته لك فلا تضعف هذه النوْبة، فإن أفلت فلن يعود معى أبدا. وخرج الأسد إلى الحمار، فعاجله بوثبة افترسه بها. ثم قال: لقد ذكرت الأطباء أنه لايؤكل إلا بعد الغسل؛ فاحتفظ به حتى أعود فآكل قلبه وأذنيه، وما دون ذلك أتركه قوتا لك.

ولكنّ ابن آوى أكل قلب الحمار وأذنيه. فلمّا رجع الأسد؛ قال لابن آوى: أين قلب الحمار وأذناه ؟. قال: **ألم تعلم أنه لو كان له قلب يفقه به، وأذنان يسمع بهما، لم يرجع إليك بعد ما أفلت ونجا من الهلاك** ؟. فهذا مثل الرجل الذى يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها.



بابُ الناسك وابن عرس:

أحلام اليقظة

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثل الرجل المتعجّل فى أمره؛ من غير رويّة ولا نظر فى العواقب. قال الفيلسوف: **من لم يكن فى أمره متيقنا، لم يزل نادما**، ويصير أمره إلى ما صار إليه الناسك من قتل ابن عُرس، وقد كان له ودودا. قال الملك: وكيف كان ذلك ؟.

قال بيدبا : كان ناسكا بأرض فارس، وكانت له امرأة جميلة. وقد مكثا زمانا لم يرزقا ولدا، ثم حملت المرأة فسُرّت، وسُرّ الناسك، وحمد الله تعالى وسأله أن يكون الحمْل ذكرا، وقال لزوجته: أرجو أن يكون غلاما لنا فيه نفع، وأختار له أحسن الأسماء، وأحضر له سائر الأدباء.



قالت المرأة: أيها الرجل: كيف تتكلم بما لا تدرى أيكون أم لا ؟. ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك الذى سُكب على رأسه السّمن والعسل. قال الناسك: وكيف كان ذلك ؟.

قالت: كان ناسكا يأتيه من بيت رجل رزقٌ من السمن والعسل، وكان يأكل منه، ويدخر الباقى فى جرّة يعلقها فى ناحية با لبيت، حتى امتلأت، وبينما كان الناسك مستلق على ظهره أسفل الجرّة والعكازة فى يده، تفكر فى غلاء السمن والعسل فقال: سأبيع ما فى هذه الجرة بدينار، وأشترى به عشرة أعنز: يلدْن فى كل خمسة أشهر بطنا، وما تلبث أن تصير كثيرة إذا ولدت أولادها.. وظل فى حسابه حتى بلغت أربعمائة عنزا. فقال: أشترى بها مائة من البقر، وأشترى أرضا وبذرا، وأزرع، وأنتفع بألبان الإناث ونتاجها.. وأصيبُ من المحصول مالا كثيرا، فأبنى بيتا وأشترى إماءأ وعبيداً،

وأتزوج امرأة ذات حُسن، ثم تأتى بغلام نجيب، فإذا ترعرع أحسنتُ تأديبه، فإنْ لم يقبل ضربتُه بهذه العكازة، **وأشار ناحية الجرّة فكسرها، فسال ما كان فيها على وجهه.. وإنما ضربت لك هذا المثل لكى لا تعجل بذكر ما لا ينبغى ذكره، وما لا تدرى أيصحّ أم لا يصحّ**. فاتعظ الناسك.

فى العجلة الندامة

ثم إنّ امرأة الناسك ولدت غلاما جميلا ففرح به أبوه، وبعد أيام حان لها أن تغتسل، فقالت للناسك: اقعد عند ابنك حتى أغتسل وأعود. وانطلقت إلى الحمّام، تركت زوجها مع الغلام. وحدث أن جاءه رسول الملك يستدعيه، ولم يجد من يحلّ محله غير ابن عُرس، كان قد رباه صغيرا، فتركه الناسك عند الوليد وأغلق عليهما البيت، وذهب مع الرسول، فخرجت من بعض أحجار البيت حيّة سوداء، فدنت من الغلام، فضربها ابن عُرس، ووثب عليها فقتلها، ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها، ثم جاء الناسك وفتح الباب، فالتقاه ابن عُرس، كأنما يبشّره بقتل الحية، فلمّا رآه ملوثا بالدم طار عقله، وعجّل فضرب ابن عّرس بعكازه على أمّ رأسه فمات.



ودخل الناسك فرأى الغلام سليما حيّا!. وعنده أسود مقطع، فلما تبين له سوء فعله فى العجلة، لطم على رأسه وقال: ليتنى لم أرزق هذا الولد، ولم أغدر هذا الغدر!. دخلت امرأته فوجـ ته على تلك الحال. فقالت له: ما شأنك ؟، **فأخبرها عن حُسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له**. فقالت: **هذه ثمرة العجلة، فهذا مثل من لا يتيقن فى أمره، بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة**.

بابُ الجُرذ والسّنور:

المأزق !

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثل رجل كثر أعداؤه، وأحاطوا به من كل جانب، فأشرف معهم على الهلاك، فالتمس النجاة والمخرج بمصالحة بعض أعدائه؛ فسلم من الخوف وأمن، ثم وفّى لمن صالحه منهم.

قال الفيلسوف: **إنّ المودّة والعداوة لا يثبتان على حال أبدا، وربما تحولت المودّة إلى عداوة، والعداوة إلى صداقة، وذو الرأى يستخلص من كل ما يحدث رأيا جديدا**: ولا تمنع العداوة ذا العقل عن مُقاربة عدوّه والاستنجاد به، ومن عمل ذلك بالحزم ظفر بحاجته. مثل الجرذ والسنور: وهو القط؛ حين وقعا فى ورطة فنجوَا. قال الملك: وكيف كان ذلك ؟.

قال بيدبا : يُحكى أنّ شجرة ضخمة كان فى أصلها جُحر سنور يقال له: رومى ، وكان قريبا منه جُحر جُرذ يقال له فريدون ، وكان الصيادون يرتادون هذا المكان لصيد الطير والوحوش. وذات يوم نزل صياد فنصب شبكته قريبا من موضع رومى ، فلم يلبث أن وقع فيها، فخرج الجرذ يبحث عن الطعام وهو حذر من رومى ، وما أن بصُر به فى الشرك، سُرّ واستبشر، ثم التفت خلفه فرأى ابن عُرس يريد أن يأخذه، وفى الشجرة بوما يريد اختطافه!، وإن تقدم إلى أمامه افترسه السنور!.. تحير فى أمره وقال فى نفسه: **هذا بلاء أحاطنى، وشر لحق بى، ولكن معى عقلى فلا يُفزعنى أمرى**، ولستُ أرى مخلصا من هذا البلاء إلا مصالحة السنور، فقد نزل به



البلاء مثلى، ولعله لوسمع كلامى وصدقنى وطمع فى معونتى نخلص جميعا.

عداوةٌ للأبد!

دنا الجرذُ من السنور فقال له: كيف حالك ؟. قال له السنور: كما تحب: فى ضنك وضيق. قال الجرذ: وأنا اليوم شريكك فى البلاء، وأرجو لك الخلاص كما أرجوه لنفسى، وكلامى ليس فيه كذب ولا خديعة، وابن عُرس ها هو كامن لى، والبوم يرصدنى، وكلاهما عدوّ لى ولك، فإن أمّنتنى قطعتُ حبائلك، وخلصتُك. وكلانا تخلص بسبب صاحبه: كالسفينة والركاب فى البحر: فبالسفينة ينجون، وبهم تنجو السفينة. قال السنور: إنّ قولك هذا حق، وأنا أيضا راغبٌ لك ما أرغبُه لنفسى فى الخلاص. قال الجرذ: سأدنو منك فأقطع الحبائل كلها إلا عقدة واحدة أبقيها لأرتهنك بها، ولا أقطعها إلا فى اللحظة التى تكون فيها مشغولا عنى، وذلك عند مجىء الصياد.



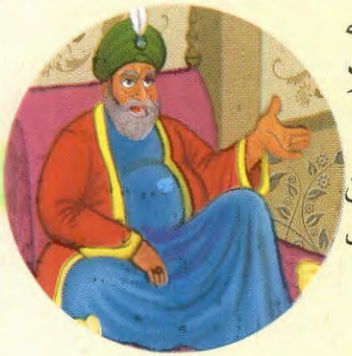
ثم أخذ الجرذ فى قرض حبائله. ولمّا رأى البوم وابن عُرس دنوّ الجرذ من السنور يئسا وانصرفا. وأقبل الصياد، فقال السنور: الآن جاء وقت الجد فى قطع حبائلى، فأسرع الجرذ فى القرض، حتى إذا فرغ؛ وثب السنور إلى الشجرة بين دهشة الصياد، ودخل الجرذ بين الأحجار، وأخذ الصياد حبائله مقطعة، ثم انصرف خائبا.. وخرج الجرذ، وكره أن يدنو من السنور، وحاول السنور بشتى الحيل أن يتخذه صديقا، فقال الجرذ: **رُبّ صداقة ظاهرة باطنها عداوة مستترة، وهى أشد وطأة من العداوة الظاهرة. والعاقل يصالح عدوه إذا اضطر إليه، ثم يعجّل بالانصراف عنه، حين يجد إلى ذلك سبيلا.** وأنا أودّك من بعيد، وأحب لك السلامة ولا عليك أن تجازينى على صنيعى إلا بمثل ذلك: إذ لا سبيل إلى اجتماعنا والسلام.

بابُ ابنُ الملك والطائرُ فنْزة:

البادئُ أظلمُ

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثل أصحاب الثأر والانتقام الذين لابد أن يتّقى بعضهم البعض. قال الفيلسوف: يُحكى أنّ ملكا من ملوك الهند؛ كان له طائر يُدعى: فنزة ، وكان له فرْخ. وكان الملك معجبا بذكاء فنزة وفرخه؛ فأمر بالمحافظة عليهما. وقد ولدت الملكة غلاما، وتآلف الفرخ والغلام فكانا معا طول الوقت يلعبان ويلهوان. وكان فنزة يطير إلى الجبل كل يوم، فيأتى بفاكهة يُطعم الغلام نصفها، ويُطعم فرخه النصف الآخر، وكم سُرّ الملك بذلك، وازداد لـ فنزة إكراما واحتراما ومحبة. وذات مرة كان فنزة فى رحلته إلى الجبل، وكان الفرخ فى حجر الغلام فذرق عليه، ففضب الغلام، وأخذ الفرخ فضرب به الأرض فمات.

عاد فنزة فوجد فرخه مقتولا؛ فصاح وحزن، ثم التفت إلى الغلام وقال: **كيف تغدر بأليفك وأخيك؟!**. ثم وثب فى شدة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينه، وطار ووقف على شرفة القصر. بلغ الملك ذلك فجزع أشد الجزع. ثم طمع أن يحتال له. فقال له: إنك آمن فانزل يا فنزة . فقال له: أيها الملك: إنّ الغادر مأخوذ بغدره، وابنك غدر بابنى، وعجّلت له العقوبة. قال الملك: غدرنا بابنك فانتقمت منا، فلا ثأر بيننا وبينك؛ فارجع إلينا آمنا. قال فنزة :



. لستُ براجع إليك أبدا؛ فقد تزوّدت عندكم من الحزن عبئا ثقيلا؛ أحمله وحدى، وأنا ذاهبٌ، وعليك السلام.

بابُ الأسد وابنُ آوى الزاهدُ:

ابنُ آوى الزاهدُ

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثل الملك الذى يُراجع من أصابته منه عقوبه من غير جُرم.

قال الفيلسوف: إنّ الملك لو لم يراجع من جافاه عن ذنب أو غير ذنب، ظلم أو لم يظلم، لأضرّ ذلك بالأمور. فقد يكون المبتلى ممن يُوثق به فى رأيه وأمانته، بما يُوجب الحرص على مُراجعته.



وأعمال السلطان كثيرة، ويحتاج من الأعوان الكثير، وقليل منهم ما يجمع بين النصيحة والنزاهة والعفاف. مثل الأسد وابن آوى. قال الملك: وكيف كان ذلك ؟.

قال بيدبا : كان ابن آوى يسكن فى صومعته، وكان زاهدا متعففا مع بنات آوى والذئاب والثعالب، ولم يكن يفعل ما يفعلون من شر وسوء، حتى إنه لم يكن يأكل لحما. فخاصمتْه، وقلن: لا معنى لتزاهدك، ولا تُبرّئك عفتك عن أكل اللحم من الإثم؛ فلا تستطيع إلا أن تكون مثلنا. قال ابن آوى: إنّ صُحبتى إياكن لا توقعنى فى الإثم إذا لم اقترفه بنفسى. **فليس مصدر الإثم الأماكن والصّحاب، ولكن مصدرها القلوب والأعمال.**

وثبت ابن آوى على حاله تلك، واشتهر بالزهد، وبلغ ذلك الأسد، فاستدعاه وقال له: تعلم أن أعمالى كثير، وأعوانى جمّ غفير، وقد بلغنى عنك عفاف وأدب وعقل ودين، فازددتُ فيك رغبة، وأنا موليك عملا جسيما، ورافعك إلى منزلة شريفة، وجاعلك من خاصّتى. قال ابن آوى: الملوك هم أوْلى ألا يُكرهوا أحدا، فإنّ المُكره لا يستطيع التفانى فى العمل، وإنى لعمل السلطان كاره، وليس لى به تجربة. قال الأسد: دعْ عنك هذا؛ فإنى غير مُعفيك من العمل. قال: إنما يستطيع خدمة الملك رجلان لستُ بأحدهما: إما فاجر منافق: ينال غرضه بفجوره ويَسلم بنفاقه، وإما مغفل لا يحسده أحد. فمن أراد أن يخدم السلطان بالصدق والعفاف، ولا يتبع ذلك بالتزلف والنفاق، حينئذ قلّ أن يسلم: لأنه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالحقد والحسد. قال الأسد: لن يكون هذا، فأنت معى وأنا أكفيك ذلك. قال ابن آوى: إنْ كان الملك يريد الإحسان إلىّ، فليدعْنى فى هذه البرية أعيش آمنا؛ فإنى قد علمت أنّ **صاحب السلطان يصل إليه من الأذى والخوف فى ساعة واحدة؛ ما لا يصل**

إلى غيره فى طول عمره، وإنّ قليلا من العيش فى طمأنينة خيرٌ من كثير فى خوف ونصب. قال الأسد: قد سمعتُ مقالتك، فلا تخف مما ذكرت، ولا بد من الاستعانة بك فى أمرى.

قال ابن آوى: إذا فليجعل الملك لى عهدا، فإن بغى علىّ أحد ممن هو فوقى أو دونى، فلا يعجّل فى أمرى، وأن يتثبت فيما يُرفع إليه ويفحص عنه. قال الأسد: لك ذلك علىّ وزيادة. ثم ولاه خزائنه، وزاد فى إكرامه، واختصّ به دون أصحابه.

وحَصْحَصَ الحق

فلمّا رأى أصحابُ الأسد ذلك، غاظهم وساءهم، وأجمعوا كيدهم، واتفقوا على أن يحملوا الأسد على ابن آوى. كان الأسد قد استطاب حمارا، فأبقى منه مقدارا، وأمر بالاحتفاظ به، وأنْ يُوضع فى مكان حصين، ليُعاد عليه، فأخذوا ما تبقى، وحملوه إلى بيت ابن آوى؛ فخبأوه فيه دون علمه. فلما كان من الغد، ودعا الأسد بغذائه، فطلبه ولم يجدْه، وابن آوى لا يشعر بالمكيدة التى دُبرت له، حضر المدبرون لها، وقعدوا فى المجلس، ثم إنّ الملك سأل عن اللحم. فقال أحدهم: لا بد من أن نخبر الملك بما يضره وينفعه، وإنه بلغنى أنّ ابن آوى هو الذى ذهب باللحم إلى منزله، وقال آخر: لا أراه يفعل هذا، ولكن انظروا وافحصوا. فقال ثالث: وأظنكم إن فحصتم لوجدتم اللحم فى بيت ابن آوى. وهذه خيانة. قال رابع: لئن وجدنا هذا حقا فليست بالخيانة فقط، ولكن مع الخيانة كفر النعمة والجراءة على الملك. وقال: أنتم أهل العدل والفضل لا أستطيع أن أكذبكم، ولكن



سيبين هذا لو أرسل الملك إلى بيته من يفتشه. عندئذ أمر الأسد بابن آوى فحضر. فقال له: أين اللحم ؟. قال: سلمته إلى صاحب الطعام ليقرّبه إلى الملك. فدعا الأسد بصاحب الطعام، وكان ممن أيّد وبايع المكيدون فقال: ما سلمنى شيئا. فأرسل الأسد من يفتش بيت ابن آوى، فوجد اللحم، **عندئذ أمر الملك بابن آوى أن يُقتل!.**

علمت أم الأسد أنه قد عجّل فى أمره، ودخلت على الملك، فقالت: يا بنى: بأى ذنب تقتل ابن آوى ؟. فأخبرها، فقالت: **عجّلت يا بنى وفى العجلة الندامة**. وقد جرّبتَ ابن آوى، وعرفتَ أمانته ومروءته، وليس ينبغى للملك أن يخوّنه بعد ائتمانه، ولعل الملك إن فحص: ظهر له أنّ ابن آوى له خصوم هم الذين اتمروا به، وهم الذين خبأوا اللحم فى بيته. وبينما أمّ الأسد ماضية فى الدفاع عن ابن آوى، إذ دخل على الأسد أحد ثقاته فأخبره ببراءة ابن آوى. قالت الأم: الأوْلى لك أن تُراجع ابن آوى وتعطف عليه. فدعا الأسد ابن آوى واعتذر إليه، وضاعف له الكرامة، ولم تزده الأيام إلا تقرّبا ومحبة.

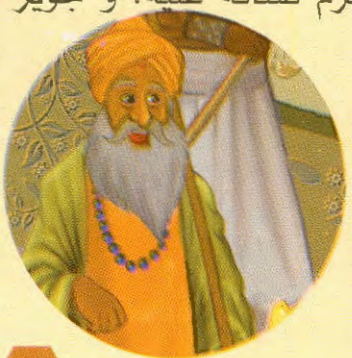


بابُ إيلاذ وبلاذ وأيراخت:

حان وقتُ الثأر

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثلا فى الأمور التى يجب على الملك أن يُلزم بها نفسه، ويحفظ مُلكه، ويثبت سلطانه: أ بالحلم أم بالمروءة أم بالشجاعة أم بالجود ؟. قال الفيلسوف: الحلم رأس الأمور جميعا: يُحكى أنّ ملكا يُدعى بلاذ ، وكان له وزيرا متعبدا ناسكا يُدعى إيلاذ .

نام الملك ذات ليلة، فرأى فى منامه ثمانية أحلام أفزعته، فاستيقظ مرعوبا، فدعا أناس يُقال لهم البراهمة؛ ليفسّروا رؤياه، فقصّ عليهم ما رأى. فقالوا: لقد رأى الملك عجبا فإن أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله. فوافق الملك. ثم اجتمعوا فى منزل أحدهم، ودبروا له مكيدة، وقالوا: لقد **سنحت الفرصة للانتقام من عدوّنا**، وقد علمتم أنه قتل منّا بالأمس اثنى عشر ألفا، وها هو قد أطلعنا على سرّه وسألنا تفسير رؤياه، فهلمّوا نخوّفه حتى يحمله الخوف والجزع على أن يفعل الذى نريد ونأمر، فنطلب منه أن يقتل أحباءه: الملكة إيراخت أم جوير المحمودة: أكرم نسائه عليه، و جوير أحبّ بنيه وأفضلهم إليه، و إيلاذ خليله وصاحب أمره، والكاتب كالا أمين أسراره، والفيل الأبيض الذى لاتلحقه الخيل!، والفرس، و كباريون الحكيم الفاضل العالم بالأمور، ونقول له: بعد قتلهم، نجمع دماءهم فى حوض، ونطلب منه أن يقعد فيه، فإذا خرج اجتمعنا نرقيه ونبصق عليه، ونمسح عنه الدم



ونغسله بالماء والدهن الطيب، ثم يقوم إلى قصره: فعندئذ يدفع الله عنه البلاء، ويستقيم له ملكه وسلطانه. فإذا هو أطاعنا فيما نأمره؛ قتلناه أى قتلة شئنا. ورجعوا إلى الملك فى اليوم السابع، فحدثوه بما ائتمروا به. فقال لهم: الموت خير لى من الحياة إن أنا قتلت هؤلاء. وأنا ميت لا محالة. **إنّ الموت عندى وفراق الأحباء سواء بسواء.**

أحلامُ الملك

وظل أولئك الأشرار فى دفعهم للملك لأن يقتل أحب وأفضل الناس إلى قلبه وعقله، حتى إنه دخل إلى حجرته، وخرّ على وجهه يبكى، ويتقلب كما تتقلب السمكة إذا خرجت من الماء!، وجعل يقول فى نفسه: ما أدرى أىّ الأمرين أعظم فى نفسى: المملكة أم قتل أحبائى ؟، وإنى لزاهد فى الحياة إذا لم أر إيراخت ، وكيف أقوم على مُلكى إذا هلك وزيرى إيلاذ ؟ .. وماذا أصنع بعدهم ؟. فلمّا رأى إيلاذ ما أحاط الملك من الهم والحزن، فضّل أن يذهب إلى إيراخت ، وقصّ عليها أمر البراهمة الذين دعاهم. فدخلت إيراخت على الملك، فحكى لها ما قاله البراهمة، فطلبت منه أن يشاور الحكيم كباريون .

وسرعان ما عمل الملك بنصيحة إيراخت ، وقصّ له الرؤيا. قال الحكيم: لا يحزنك هذا الأمر ولا تخف منه: أمّا السمكتان الحمراوان اللتان رأيتهما



قائمتين أذنابهما، فإنه يأتيك رسول من ملك نهاوند بعُلبة فيها عقدان من الدّرّ والياقوت الأحمر. وأمّا الإوزتان اللتان طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك؛ فإنه يأتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الأرض مثلهما. وأمّا الحية التى رأيتها تدبّ على رجلك اليسرى: فإنه يأتيك من ملك صنجين من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله. وأمّا الدم الذى خُضّب به جسدك: فإنه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس يُضىء فى الظلمة. وأمّا ما رأيت من غسلك جسمك بالماء: فإنه يأتيك من ملك زهرين من يقوم بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك. وأمّا ما رأيت من أنك على جبل أبيض: فإنه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل. وأمّا ما رأيت على رأسك ما يشبه النار: فإنه يأتيك من ملك أرزن من يقوم بين يديك بإكليل من ذهب مُكلل بالدرّ والياقوت. وأمّا الطير الذى رأيته ضرب رأسك بمنقاره، فلست مفسّرا ذلك اليوم، وليس بضارّك، فلا تخاف منه، ولكن فيه بعض السخط عمّن تحبه. وأمّا هذه الرسل فإنهم يأتونك بعد سبعة أيام.

وبالفعل مرّت السبعة أيام وجاءت البشائر بقدوم الرسل. وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم. وقال الملك فى نفسه: **لا ينبغى لأحد أن يسمع إلا من الأخلاء ذوى العقول**. ثم أحسن الملك جائزة إيلاذ ، ومكنه من أولئك الذين أشاروا بقتل أحبابه. وقرّت عينا الملك، وأثنى على كباريون ، فبسعة علمه وفضل حكمته: أنقذ الملك ووزيره الصالح وامرأته الوفية.

بابُ اللبوءة والإسوار والشغبر:

كما تدين تُدان

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثلا فى شأن من لا يدفع الضّرّ أن يُصيب غيره إذا قدر عليه. قال الفيلسوف: إنه لا يُقدم على ضرر الناس والإساءة بهم إلا أهل الجهالة وسوء النظر فى العواقب من أمور الدنيا والآخرة. **ومن لا يفكر فى العواقب لم يأمن المصائب، ولا يسلم من المفاسد**. وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من الضرر من غيره: كان قد أتى بمثل ذلك من الظلم والعدوان: مثل حديث اللبوءة والإسوار، والشغبر وهو ابن آوى. قال الملك: وكيف كان ذلك ؟.

قال بيدبا : كانت لبؤة تعيش مع شبليها فى أجمة، وخرجت للصيد ذات مرة، وتركتهما، فمرّ بهما إسوار: وهو قائد الفرسان، فرماهما فقتلهما، وسلخ جلدهما فأخذه وانصرف. فلمّا رجعت ورأت ما حلّ بها من الأمر الفظيع، صاحت وضجّت.. وكان بجانبها شغبر، فقال لها: ما نزل بك ؟!.. حكت له، فقال الشغبر: لا بد أنك فعلت بغيرك مثله، فاصبرى على فعل غيرك كما صبر غيرك على فعلك. وقد قيل: كما تدين تدان، ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب. قالت: بيّن لى ما تقول.. قال الشغبر: كم عمرك ؟. قالت: مائة سنة. قال: ما كان قوتك ؟. قالت: لحم الوحوش: كنت أصيده وآكله. قال الشغبر: أرأيت.. أما كان لها آباء وأمهات ؟.. لقد كنت تفعلين ذلك وتجهلين أن تقع عليك.



فلمّا سمعتْ كلام الشغبر؛ عرفتْ أنّ عملها كان ظلما؛ فتركت الصيد، وانصرفت عن أكل اللحم إلى الثمار والنسك والعبادة. ولمّا رأى ذلك ورشان : وهو طائر يشبه الحمامة. قال لها: لقد تركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك، وتحوّلت إلى رزق غيرك فنقص وقلّ، وويل لمن عيشهم منها؛ فما أسرع هلاكهم؛ إذ دخل عليهم فى أرزاقهم من ليس له فيها حظ ولم يكن معتادا لأكلها.

ولمّا سمعتْ كلام ورشان تركتْ أكل الثمار، وأقبلتْ على أكل العشب والعبادة.. والناس أحقّ بالنظر فى ذلك. قيل: **ما لا ترضاه لنفسك لا تفعله لغيرك: فإنّ فى ذلك العدل؛ وفى العدل رضا الله تعالى ورضا الناس.**



بابُ الناسك والضيف:

القناعةُ كنزٌ لايفنى

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثل الذى يترك صُنعه: أى عمله الذى يليق به ويناسبه، ويطلب غيره فلا يُدركه. قال الفيلسوف: كان بأرض الكرخ ناسك عابد مجتهد، فنزل به ضيف، فقدّم له التمر وأكلا معا، ثم قال الضيف: ما أحلى هذا الثمر وأطيبه!، فليس منه فى بلادى، فأطلب منك أن تساعدنى أن آخذ منه فأغرسه فى أرضنا. فقال الناسك: إنّ ذلك يثقل عليك، وقد لا يوافق أرضكم، مع أنّ بلادكم كثيرة الثمار فما حاجتها إلى التمر. **ولا يُعدّ عاقلا من طلب ما لا يجد، وسعيد الحظ من قنع بالذى وجد وزهد فيما لا يجد**. وكان ذلك الناسك يتكلم العبرانية، فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه، فعزم على تعلمها، وأنفق فى ذلك أياما، فقال الناسك لضيفه: لقد اختلط كلامك، فلا هو بالعبرانية، ولا هو بلغتك!. مثل ما حدث للغراب: قال الضيف: وكيف كان ذلك ؟.

قال الناسك: يُحكى أنّ غرابا رأى حجلة وهى طائر؛ تمشى فأعجبته مشيتها، وطمع أن يتعلمها؛ فحاول ذلك، فلم يقدر على إحكامها، ويئس منها، وأراد أن يعود إلى مشيته التى كان عليها، فاختلط عليه وعرج فى مشيته، وصار أقبح الطير مشيا!.



وإنما ضربتُ لك هذا المثل لمّا رأيتك تركت لسانك الذى نشأت عليه، وأقبلت على لسان العبرانية وهو لا يناسبك، وأخافُ ألا تستطيع إدراكه، وتنسى لسانك، وترجع لأهلك وأنت أقبحهم لسانا.

بابُ السائح والصائغ:

صانعُ المعروفِ

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثلا فى شأن الذى يصنع المعروف فى غير موضعه، ويرجو الشكر عليه. قال الفيلسوف: أيها الملك: إنّ طبائع الخلق مختلفة: من يمشى على أربع، أو رجلين، أو يطير بجناحيه، ولا مخلوق أفضل من الإنسان. ولكن من الناس البرّ والفاجر، **وقد يكون فى بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوْفى منه، وأشكر للمعروف**، وقد قيل: **لا ينبغى لذى العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس ولا من البهائم،**



ويكون ما يصنع إليهم على قدر ما يرى منهم، وفى ذلك مثل ضربه الحكماء قال الملك: وكيف كان ذلك ؟.

قال بيدبا : يُحكى أنّ جماعة حفروا بئرا، فوقع فيه رجل صائغ، وحيّة وقرد وسبع، ومرّ بهم رجل سائح، فأطل فى البئر، فبصُر بهم، فقال فى نفسه: لستُ أعمل لآخرتى عملا أفضل من أن أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء، فأدلى حبلا إلى البئر، فتعلق به القرد لخفّته فخرج، ثم التفّت به الحية فخرجت، ثم تعلق به السبع فخرج، فشكرن له صنيعه، وقلن له: **لا تُخرج هذا الرجل من البئر، فإنه ليس شىء أقل شكرا من الإنسان**. وهذا الرجل خاصة. ثم وصف كلّ مسكنه بالمدينة، وقلن: إنْ مررتَ بنا يوما واحتجت إلينا: فنادى علينا حتى نأتيك؛ فنجزيك بما أسديت لنا من المعروف. ولم يأخذ السائح بقولهم وأدلى الحبل فخرج الصائغ، وقال له: لقد أدّيت لى معروفا، فإنْ أتيت يوما إلى المدينة فاسأل عن منزلى: فأنا رجل صائغ لعلى أكافئك بما صنعت. فانطلق الصائغ إلى مدينته.

السّباعُ أوْفى

ومرّ السائحُ ذات يوم بالمدينة، فاستقبله القرد، ثم انطلق وأتاه بفاكهة طيبة، فأكل منها، ثم انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله السبع، فانطلق إلى بعض البساتين حيث بنت الملك فقتلها، وأخذ حُليها، فأتاه به. فقال السائح فى نفسه: هذه البهائم قد أوفت الجزاء، فكيف لو أتيت الصائغ، فلو كان مُعسرا، وأعطيتُه الحُلىّ؛ وباعها، فسيعطينى بعض ثمنه.



فانطلق السائح فأتى إلى الصائغ، فرحّب به. فلما بصُر

بالحُلىّ معه عرفها وكان هو الذى صاغها لابنة الملك.. واستأذنه الصائغ، وانطلق إلى باب الملك، فأرسل إليه، فقال: إنّ الذى قتل ابنتك وأخذ حُليّها عندى. فأرسل الملك وأتى بالسائح، فلمّا رأى الحُلى معه، لم يمهله، وأمر به أن يعذب ويطاف به المدينة، ويُصلب. فلمّا فعلوا به ذلك، جعل السائح يبكى ويقول بأعلى صوته: لو أنى أطعتُ القرد والحية والسبع ما وصل أمرى إلى هذا البلاء، وجعل يكرر هذا القول، فسمعته الحية، فخرجت من جُحرها، وفكرت فى حيلة لتخليصه، فانطلقت حتى لدغت ابن الملك، فدعا الملك أهل العلم فرقوه فلم يُغنوا عنه شيئا، ثم مضت الحية لأخت لها من الجن، فأخبرتها بمعروف السائح لها، فرقّت له، وانطلقت إلى ابن الملك، وقالت له: إنك لا تبرأ حتى يُرقيك الرجل الذى عاقبتموه ظلما.

وانطلقت الحيّة إلى السائح، فدخلت عليه السجن وقالت له: وأعطته ورقا ينفع من سُمّها وقالت له: إذا جاءوا بك لترقى ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق: فإنه يبرأ، وإذا سألك الملك عن حالك؛ فاصدقه القول: فإنك تنجو بإذن الله.

أخبر ابن الملك أباه بأنه سمع قائلا يقول: **إنك لن تبرأ حتى يرقيك السائح الذى حُبس ظلما**، فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقى ولده، فسقاه من ماء الورق فبرئ الغلام. ففرح الملك، وسأله عن قصته فأخبره، فشكره الملك، وقدّم له الهدايا الثمينة، وأمر بالصائغ أن يُصلب. قال الفيلسوف: **وإنها لعبرة فى وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم.**

بابُ ابنُ الملك وأصحابه:

كلٌّ مُيسّرٌ لما خُلق له

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: فإن كان الرجل لا يُصيب الخير إلا بعقله ورأيه وتثبّته فى الأمور؛ فما بال الرجل الجاهل يُصيب الرفعة والخير ؟، والرجل الحكيم العاقل قد يُصيبُ البلاء والضّر ؟!. قال الفيلسوف: إنّ الإنسان لا يُبصر إلا بعينيه، ولا يسمع إلا بأذنيه: كذلك العمل: إنما هو بالحسّ والعقل والتثبت، غير أنّ الغلبة للقضاء والقدر. ومثلُ ذلك مثل ابن الملك وأصحابه. قال الملك: وكيف كان ذلك ؟.



قال بيدبا : يُحكى أنّ أربعة فتيان اصطحبوا فى طريق واحدة: أحدهم ابن ملك، والثانى ابن تاجر، والثالث ابن شريف ذو جمال، والرابع ابن حرّاث. وقد أصابهم جهد وتعب شديدين: وهم فى بلاد غربة، ولا يملكون إلا ما عليهم من الثياب. وبينما هم سائرون فكروا فى أمرهم، وما كان يأتيهم منه الخير. قال ابن الملك: إنّ أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الأمور. وقال ابن التاجر: العقل أفضل من كل شىء. وقال ابن الشريف: الجمال أفضل. ثم قال ابن الحراث: ليس فى الحياة أفضل من الاجتهاد فى العمل.

فلمّا اقتربوا من مدينة يقال لها: مطرون .. جلسوا فى ناحية يتشاورون: فقالوا لابن الحراث: انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاما ليومنا هذا، فانطلق، وسأل عن عمل، فلم يجد إلا جمع الحطب؛ فاحتطب من مكان بعيد طنا من الحطب، وأتى به المدينة، فباعه بدرهم واشترى به طعاما، وكتب على باب المدينة: **عملُ يوم إذا أجهد الرجل فيه بدنه قيمته درهم**. فانطلق إلى أصحابه بالطعام فأكلوا.

وفى اليوم التالى كان دور ابن الشريف، فانطلق ليأتى المدينة، ففكر فى نفسه وقال: لستُ أُحسنُ عملا فما يُدخلنى المدينة، ثم استحى أن يرجع لأصحابه بغير طعام، فأسند ظهره إلى شجرة فغلبه النوم، فمرّ به رجل من عظماء المدينة، فأعجبه جماله وتوسّم فيه شرف الأصل؛ فرقّ له ومنحه خمسمائة درهم، فكتب على باب المدينة: **جمال يوم واحد يساوى خمسمائة درهم**، وأتى بالدراهم لأصحابه.

وفى اليوم الثالث قالوا لابن التاجر: انطلق فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيئا. فانطلق ابن التاجر، فبصُر بسفينة كثيرة المتاع قدمت إلى الساحل، فخرج إليها جماعة من التجار، ليشترى ما فيها من المتاع، فجلسوا

يتشاورون، وقال بعضهم لبعض: ارجعوا يومنا هذا؛ لا نشترى شيئا حتى يكسد المتاع فيُرخّصوه علينا، فرجع ابن التاجر إلى أصحاب المركب، فاشترى منهم ما فيه بمائة ألف دينار بالأجل، وأظهر أنه يريد أن ينقل متاعه إلى مدينة أخرى. فلمّا سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك المتاع من أيديهم؛ فأربحوه على ما اشتراه مائة ألف درهم، فحمل ربحه إلى أصحابه، وكتب على باب المدينة: **عقلُ يوم واحد ثمنه مائة ألف درهم.**

جنازةُ الملكِ

وفى اليوم الرابع، قالوا لابن الملك: انطلق واكتسب لنا بالقضاء والقدر. فانطلق ابن الملك حتى أتى باب المدينة؛ فجلس على أريكة، وكان قد مات ملك تلك البلاد، ولم يُخلف ولدا ولا أحدا ذا قرابة، فمرّوا عليه بجنازة الملك ولم يُحزنه، فأنكروا حاله، وشتمه البواب وقال له: من أنت يا هذا ؟، وما يُجلسك على باب المدينة ولا نراك تحزن لموت الملك ؟. وطرده البواب، فلما ذهبوا عاد الفتى فجلس مكانه، فلمّا دفنوا الملك ورجعوا، بصُر به البواب، وقال له: أ لم أنهك عن الجلوس فى هذا المكان، وأخذه فحبسه. وفى الغد اجتمع أهل المدينة يتشاورون فيمن يملكونه عليهم، وهم فى خلاف. حكى لهم البواب حكاية الفتى، فبعث أشراف المدينة إليه فجاءوا به، وسألوه عن حاله فقال: أنا ابن ملك فويران ، فلمّا مات والدى غلبنى أخى على المُلك، فهربْت منه، حتى انتهيت إليكم.



فلمّا ذكر الفتى ما ذكره، عرفه الكثير وأثنوا على أبيه خيرا. فاختاره الأشراف ملكا عليهم، وحملوه على فيل أبيض وطافوا

حول المدينة، وقد مرّ بباب المدينة فرأى الكتابة عليه فأمر أن يُكتب: **إنَ الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب الرجل فى الدنيا من خير أو شر إنما هو بقضاء وقدر الله عز وجل**، وقد ازددتُ بذلك اعتبارا بما ساق الله إلى من الكرامة والخير. ثم انطلق إلى مجلسه، وجلس على سرير مُلكه، وأرسل إلى أصحابه: فأشرك صاحب العقل مع الوزراء، وضمّ صاحب الاجتهاد إلى أصحاب الزرع، وأمر لصاحب الجمال بمال كثير، ثم أبعده عن المدينة حتى لا يُفتتن به، ثم جمع العلماء وذوى الرأى وقال لهم: إنّ الذى منحنى الله وهيّأه لى إنما كان بقدر، ولم يكنْ بجمال ولا عقل ولا اجتهاد.

القضاءُ والقدرُ

كان فى الجمْع شيخ فقال: إنّ الذى بلغ بك ذلك وفور عقلك وحُسن ظنك، وما ساقه الله إليك من المُلك والكرامة كنت أهلا له. ثم قام شيخ آخر فقال: كنت أخدم رجلا من أشراف الناس. وقد انتهى عملى عنده فأعطانى دينارين، فأردتُ أن أتصدّق بدينار وأستبقى الآخر. فأتيتُ السوق، فوجدتُ مع صياد زوْج هدهد، فساومته فأبى الصياد إلا أن يبيعهما بدينارين، فقلت فى نفسى: أشترى واحدا وأترك الآخر. ثم فكرت وقلت لعلهما زوجين فأفرّق بينهما، فأدركنى لهما رحمة، فاشتريتهما بدينارين، وانطلقت بهما إلى مكان كثير المرعى، وأرسلتهما فطارا وحطا على شجرة مثمرة، فلمّا صارا فى أعلاها شكرا لى، وسمعتُ أحدهما يقول للآخر: لقد خلصنا هذا الرجل من البلاء الذى كنا فيه، ونجّانا من الهلاك، فلنكافئه لفعله، وإنّ فى أصل هذه الشجرة جرّة مملوءة دنانير، أفلا ندله عليها فيأخذها،



فقلتُ لهما: كيف تدلاننى على كنز لم تره العيون، ولم تُبصرا شبكة الصياد؟.
فقالا: **إنّ القضاء إذا نزل صرف العيون عن موضع الشىء وغشى البصر**، وإنما صرف القضاء أعيننا عن الشبكة ولم يصرفها عن هذا الكنز.

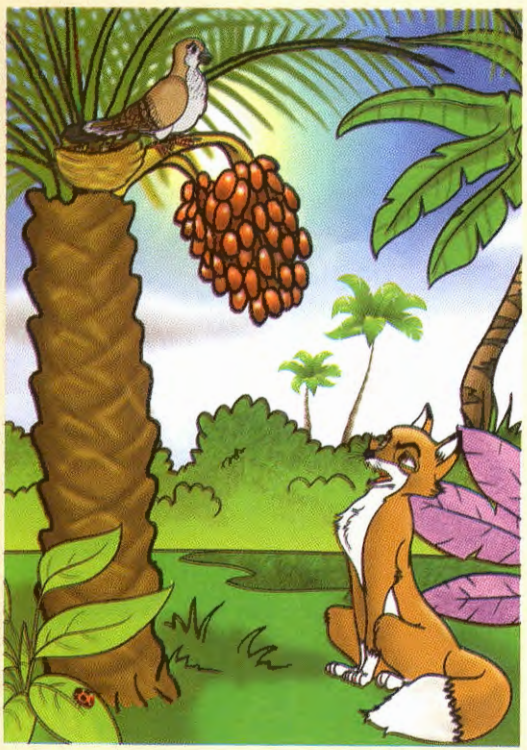
فحفر الرجل واستخرج الجرّة.. وأنا أخبرُ الملك بذلك الذى رأيته: فإنْ أمر أتيتُه بالمال فأودعته فى خزائنه، فقال الملك الفتى: ذلك لك وموفّر عليك.



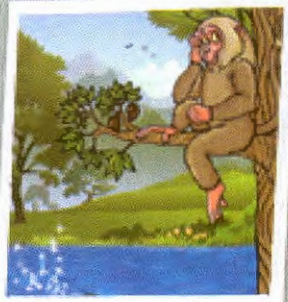
بابُ الحمامة والثعلب ومالك الحزين:

عدوّ نفسه

قال دبشليم الملك لـ بيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثلا فى شأن الرجل الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه. قال الفيلسوف: إن مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين. قال الملك: وما مَثلهن ؟. قال بيدبا : كانت حمامة تعشش فى رأس نخلة طويلة. وقد باضت وحضنت بيضها؛ فإذا فقست وكبرت فراخها، جاءها ثعلب تعاهد معها، فيقف بأصل النخلة فيصيح بها ويتوعّدها أن يصعد إليها فتُلقى إليه فراخها. وذات يوم أقبل عليها مالك الحزين وحط على النخلة، ولما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها: يا حمامة: مالى أراك كاسفة اللون سيئة الحال ؟. فقصّت الحمامة قصتها. قال لها مالك الحزين: إذا أتاك فقولى له: لا ألقى إليك فراخى، فاصعد إلىّ. فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فحط على شاطئ نهر. أقبل الثعلب، فوقف تحتها، ثم صاح كما كان يفعل.

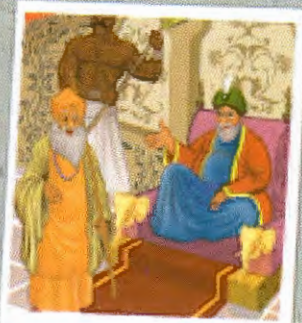


فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين. فقال الثعلب: أخبرينى من علمك هذا ؟. قالت: علمنى مالك الحزين. فتوجّه الثعلب إلى شاطئ النهر فوجده واقفا. فقال: يا مالك الحزين. إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك ؟. قال: عن شمالى. قال: فإذا أتتك عن شمالك. قال: أجعله عن يمينى. قال الثعلب: فإذا أتتك الريح من كل ناحية، فأين تجعله ؟. قال: تحت جناحى. قال: أرنى كيف تصنع ؟. فأدخل الطائر رأسه تحت جناحيه، فوثب عليه الثعلب، فدقّ عنقه، ثم قال: **يا عدو نفسه: ترى الرأى فى الحمامة، وتعلمها الحيلة لنفسها، وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يتمكن منك عدوك. ثم أجهز عليه وأكله.**








فهرس أبواب الكتاب

عنوان الباب	رقم الصفحة
1 ـ باب : مقدمة الكتاب	6
2 ـ باب : بعثة برزويه إلى بلاد الهند	14
3 ـ باب : عرض الكتاب	18
4 ـ باب : الأسد والثور	24
5 ـ باب : الفحص عن أمر دمنة	43
6 ـ باب : الحمامة المطوّقة	49
7 ـ باب : البوم والغربان	58
8 ـ باب : القرد والغيلم	66
9 ـ باب : الناسك وابن عُرس	70
10 ـ باب : الجُرذ والسنور	72
11 ـ باب : ابن الملك والطائر فنزة	74
12 ـ باب : باب الأسد وابن آوى الزاهد	75
13 ـ باب : إيلاذ وبلاذ وأيراخت	79
14 ـ باب : اللبؤة والإسوار والشغبر	82
15 ـ باب : الناسك والضيف	84
16 ـ باب : السائح والصائغ	85
17 ـ باب ابن الملك وأصحابه	88
18 ـ باب : الحمامة والثعلب ومالك الحزين	93